

حمزة علي لقمان

الاهـداء

الى شعب اليمن

حمزه علي لقمان

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين

كنت خلال زياراتي المتكررة لكثير من نواحي الاقليم اليمني وخاصة لمناطق الجنوب اليمني التي كانت حتى التاسع والعشرين من نوفمبر ١٩٦٧ تعرف بـ « اتحاد الجنوب العربي » قد جمعت عن جزرنا اليمنية الكثير من المعلومات التي سجلتها لكتابي الجديد « تاريخ اليمن الجنوبية وقبائلها » .

والآن وقد كثر الحديث حول هذه الجزر الكائنة في البحر الاحمر وخليج عدن وبحر العرب ، رأيت ان اجمع هذه المعلومات ثم انشرها ليعرف اليمني خصوصا والعربي عموما ما ينبغي معرفته عن اجزاء من وطننا ظلت مجهولة رغم الامكانيات المتوفرة في بعضها . وسوف يرى القارىء تاريخا عجيبا ومعلومات مفيدة واساطير غريبة واقاصيص شعبية طريفة .

وسوف يلمس القارىء اهمية هذه الجزر من اهتمام من ذكرها من المؤرخين وعلماء الطبيعة والآثار والنباتات قبل ميلاد المسيح وفي القرون الاولى بعد الميلاد وفي العصور الوسطى مثل بلايني واسترابو وهومل وسيقورايدس

وديودورس والهمداني وابن بطوطة وماركو بولو وغيرهم من مؤرخي ورحالة القرنين التاسع عشر والعشرين .

وانني لاطلب من المسئولين في اليمن ان يزيدوا من اهتمامهم بهذه الجزر وبأهلها الذين عاشوا فترات طويلة من الزمن في حالة اهمال وان يقدروا مـا لهذه الجزر من اهمية تزداد يوما بعد يوم .

والله الموفق .

حمزة علي لقمان

ديسمبر ١٩٧٢

محتويات كتاب تاريخ الجزر اليمنية

جزيرة كمران

تقع جزيرة كمران على بعد مئتي ميل شمالي مضايق باب المندب وعلى بعد يسير لا يتعدى ثلاثة أميال من ساحل اليمن الشمالية ، وتقع في مواجهتها مدينة الصليف الشهيرة بجبال الملح.. وهي اكبر جزيرة في مجموعة من الجزر الصغيرة والمرتفعات الضحلة المتناثرة في تلك المسافة المعروفة كلها باسم « كمران »

وتقع الجزيرة على خط الطول ٤٢ درجة و ٣٦ قدما و ٥١ بوصة شرقا ، وعلى خط العرض ١٥ درجة و ٢٠ قدما و ٢٠ بوصة شمالا .. وهي مسطحة بها مستنقعات في شمالها الشرقي ، وبها بقعة ترتفع ٧٩ قدما نحو اقصى الطرف الجنوبي ، وبينها تقع هضبة منحدرة تزرع فيها الحشائش .

وتقع مدينة كمران على الميناء على منتصف الطريق من الشاطيء الشرقي .. وإلى الشمال الغربي والجنوبي تقع قريتا صيد السمك « مكرم » و « يمن » من ناحية « فورة » . وعلى بعد يسير إلى الشمال من المدينة يوجد ميدان ومنزلق للطائرات .. اما الميناء فصالح لرسو السفن ذات الاحجام المتوسطة والسفن الشراعية والزوارق .

ويقدر هطول المطر بحوالي ثلاث بوصات في السنة .. وفي الجزيرة حوالي

مثني بئر ، وبعد هطول الامطار يصير ماء هذه الآبار عذبا ومتوفرا ولكن عندما يهبط المستوى فيها يصير آسناً وتمنع ملوحته استعماله في الزراعة . وفي الجزيرة توجد الضباء والحمير الوحشية .

كمران وليست قمران

ظن بعض الكتاب ان اسم الجزيرة « قمران » بسبب الاعتقاد السائد ان في استطاعة الناس في بعض الحالات ان يشاهدوا في وقت واحد صورتين منعكستين على جانبي الجزيرة .. والحقيقة ان الاسم الصحيح هو كمران وهو اسمها القديم ذكره المؤرخ الهمداني في كتابه « صفة جزيرة العرب » . وقد قال في صفحة ٢٥ بعد حديثه عن بلاد المهرى : « ... ثم ينعطف البحر على اليمين مغربا وشمالا من عدن فيمر في ساحل لحج وابين وكثيب يرامس وهو رباط ، وسواحل بني مجيد من المندب فساحل العميرة والعارة فإلى غلافقة ساحل زبيد فكمران فعطينة فالحردة » .

وقال الهمداني في صفحة ١١٩ : « بلد بني مجيد وبلدان الفرسان وهي على محجة من عدن إلى زبيد ثم ديار الاشعريين من حدود بني مجيد وارض الشقاق فالى حيس وزبيد نسبة إلى الوادي وهي وطن الحيب بن عبد شمس ، وهي كورة تهامة وسواحلها غلافقة المندب والمخا ساحل بني مجيد وفرسان وكمران جزيرة »

كمران في التاريخ

يشاهد زائر كمران بقايا قرية فارسية في منخفض على بعد ثلاثة اميال إلى الشرق من مدينة كمران يحتمل ان يعود تاريخها إلى عهد الاحتلال الفارسي لليمن بين سنة ٥٧٥ وسنة ٦٢٠ م .

ولقد مرت بكمران شدائد واهوال نتيجة للغزوات من الاسطولين البرتغالي والعثماني في القرن السادس عشر الميلادي . وفي سنة ١٥١٣ م حاول البرتغاليون

احتلال عدن بقيادة الفونسو ديلبوكيرك ، ولما فشلوا توجهوا إلى كمران حيث بقوا بضعة ايام عاثوا فيها فسادا ونهبا وقتلوا حاكمها الشريف محمد ابن عبد العزيز ابن سفيان وعددا من موظفي ادارته .

وفي سنة ١٥١٥ م وصل الاسطول المصري بقيادة الرئيس سليمان باشا وحسين الكردي ومنها ارسلا إلى الملك عامر ابن عبد الوهاب بن طاهر في تعز طالبين منه تموينات غذائية ويظهر ان الملك عامر خشي ان تتحول سواحل اليمن إلى ميادين تتصارع فيها الدول الكبرى حينذاك وهي الدولة العثمانية ومصر والبرتغال ، فاراد ان يتجنب المتاعب ليتفرغ لمشاكله الداخلية الكثيرة فرفض ان يستجيب للطلب وامر حاكم الحديدة محمد ابن نوح بان يمنع اقلاع ثلاث سفن كانت محملة بالمواد الغذائية في طريقها إلى الجزيرة . وحينذاك بدأ الغزو المصري لليمن ، فتوجه حسين الكردي بسفنه إلى الحديدة ورماها بالمدافع وهدمها ، ثم امر جنوده بالنزول إلى المدينة ونقل احجار الميناء واخشابها إلى كمران حيث بنى فيها حصنا متينا ومسجدا وجبانة لدفن الموتى .. وفي المسجد ادّى حسين الكردي وضباطه وجنوده صلاة عيد الاضحى .

في سنة ١٥١٧ م وصل الاسطول البرتغالي إلى عدن بقيادة لوب سواريز الا انه اجّل عملية غزوها إلى ما بعد عودته من جدة ، ولما لم ينجح في مهمته في جدة ابحر إلى كمران واستولى عليها وبنى فيها حصنا قويا وقضى فيها ثلاثة اشهر انتشر فيها الوباء وفتك بعدد كبير من جنوده ، فغادرها إلى عدن ، الا انه وجد عدن قد استعدت لمقاتلته ، فاضطر إلى العودة إلى الهند خائبا .

وثمة قصة غريبة تقول ان الجزيرة كانت جزءا من مهر الاميرة كاثرين اميرة برانكازا عند زواجها من ملك بريطانيا شارلز الثاني في سنة ١٦٦٢ م .

وفي سنة ١٨٨٢ احتل الاسطول العثماني الجزيرة وهدم الحصن البرتغالي فيها .

وفي نفس السنة تأسس مؤتمر الصحة العالمي فشيدت الحكومة العثمانية محجراً

صحيا للحجاج المسافرين إلى مكة المكرمة من الهند وملايا واندونيسيا وغيرها من بلدان الشرق الاقصى .. واستفاد سكان كمران الاربعة آلاف من الحجاج العشرة آلاف الذين يأمون الجزيرة كل سنة كما استفادوا من السفن التجارية والحربية التي كانت تزورها .

وفي سنة ١٨٩٥ انشأت الحكومة العثمانية محطة لتقطير الماء العذب من ماء البحر وكانت كمية الماء المقطر خمسين طنا .

وفي سنة ١٩١٥ اثناء الحرب العظمى الاولى انتزع البريطانيون الجزيرة من العثمانيين بعد ان توجهت اليها حملة عسكرية من عدن . واعادت الادارة البريطانية بناء محطة التقطير لتقطير نفس كمية الماء في سنة ١٩٣٤ .

وفي سنة ١٩٤٩ اصدرت الحكومة البريطانية قانونا يجعل حاكم عدن حاكما على كمران من بين واجباته تعيين نائب عنه فيها ، ومنذ ذلك التاريخ بدأت شرطة عدن المسلحة تتمركز في الجزيرة للمحافظة على الامن والنظام فيها .

وحين شيدت الحكومة السعودية محجرا صحيا في جدة في سنة ١٩٥١ انتهى عمل المحجر الصحي في الجزيرة ووجد الكمرانيون انفسهم بدون عمل فضاقت بهم الحال ولم تحاول الحكومة البريطانية انقاذهم من نكبتهم غير اقراضهم قيمة اشباك النايلون لصيد السمك فاضطر كثير من الاهالي إلى الهجرة إلى المملكة العربية السعودية وعدن وجزيرة ميون واليمن للبحث عن اعمال .. ويعمل معظم سكان كمران في صيد السمك المتوفر في جزيرتهم فيجففونه ويصدرونه إلى شرق افريقيا .

قصة من كمران

كان شاب من ابناء عدن يعمل موظفا في احدى الادارات في الجزيرة ويسكن مع خادم وطباخ في منزل واسع ملحق ببناية المحجر الصحي . وفي احدى الليالي بينما هو يدخن في احدى الغرف القريبة من الشرفة رأى فتاة تمر امام الشرفة ثم تقف وتلتفت اليه .

لم يكن من قبل قد رأى هذه الفتاة ، كذلك لم يكن قد رأى أي واحدة تتجاسر على ارتياد تلك المنطقة البعيدة من المدينة في مثل ذلك الوقت من الليل الشديد الظلمة فاندهش لرؤيتها وشعر بالرهبة ، ولم يحاول ان يتحدث اليها بل استمر يدخن وينظر خلال الدخان المتصاعد من سيجارته .

في الليلة التالية بينما كان جالسا في نفس المكان رأى الفتاة نفسها تمر ثم تقف . امعن النظر في قوامها الرشيق وحسنها الباهر ، وتسمرت عيناه حين نظر إلى عينيها . لم تكن نظرتها اليه نظرة اغراء ، لكنها كانت نظرة جادة لم يستطع ان يجد لها تفسيرا فتملكه الخوف واسرع باغلاق الباب المطل على الشرفة وذهب إلى سريره لينام . وبينما هو مستغرق في النوم تيقظ فجأة حين شعر بحركة في الغرفة ، لكنه ظن نفسه واهما وعاد إلى نومه .

وفي الصباح قص ما رأى على زميليه في المسكن اللذين لم يستطيعا ان يقدما له تعليلا لما حدث له . وعندما اقبل الليل ونام احس بثقل على كتفيه فتحرك بعنف وسحب سكينا اعتاد ان يضعها تحت وسادته وفتح عينيه ورفع يده القابضة على السكين وطعن بها .. لم يكن يرى شيئا لكنه كان ما زال يشعر بالثقل على جسمه .. وعندما طعن بالسكين سمع انينا خافتا ، وكان كلما حاول ان يغادر الفراش كلما شعر كأن انسانا يحاول ابقاءه بقوة خارقة .. وبعد صراع عنيف دفع بيديه ورجليه وتمكن بعد صعوبة من مغادرة الفراش فاسرع نحو الباب يحاول فتحه لكنه احس بيدين تقبضان على ساقيه وتسحبانه فيقع على الارض .. ويقف مرة أخرى ويحاول فتح الباب فيشعر باليدين تحيطان بعنقه ثم بساقيه وتبعدانه عن الباب .. واستمر الصراع حتى مطلع الفجر عندما استطاع ان يفتح الباب ويوقظ خادميه .

بعد تلك الحادثة لم يكن الشاب في حالة تمكنه من الاستمرار في اداء عمله فجاء بديله ليحل محله .. وقص الشاب ما حدث له ثم ذهب إلى المغسل ، ولم يقض لحظات حتى سمع من في البيت صراخه المرتفع . وعندما ذهبوا لنجدته

رأوه منحنيا على جانب يسحب نفسه بقوة وكأن احد الناس يحاول سحبه من الجانب الآخر فساعدوه على الخروج من الحمام واجلسوه على مقعد حيث استمر يدفع بيديه ورجليه وكأنه يناظل للخلاص ..

كان الشاب قد وصل إلى ذروة الرعب فأسرعوا باخراجه من البيت .. وبعد ان فحصه احد الاطباء قرر انه مصاب بضغط الدم .

في الصباح دعا الشاب والبديل بعض الاهالي للبحث عن آثار لكن ما ان دخل بعضهم الغرفة حتى توقفوا فلما سألهم عن السبب قالوا بانهم يشمون رائحة غريبة تضطرهم إلى الكف عن البحث .

حاول ان يجد تعليلا يرضيه ، فانه لم يكن يؤمن بالامور الخارقة وما كان يسميها خرافات ، لكنه لم يجد تفسيرا لما حدث له . ونصحوه بان يذهب إلى شيخ مسن من اهل كمران ربما كان يعرف شيئا عن هذا المنزل وما يجري فيه .. ولما علم الشيخ بما حدث قال للشاب ان المنزل ربما كان مسكونا بروح فتاة يعرف قصتها بعض الاهالي منذ ان كان الاتراك يحكمون الجزيرة .. وتتلخص القصة في ان اومباشيا تركيا اختطف فتاة ووضعها في ذلك المنزل الذي كان ملحقا بالمحجر الصحي ، وكان قد اخبر بعض اصدقائه من الجنود بنبأ اختطافه الفتاة .. وعندما ذهب إلى الغرفة ليختلي بها لم يشعر الا وزملاؤه يقتحمون الغرفة كالاعصار .

جن جنون الفتاة البريئة عند رؤيتها اولئك الوحوش الآدميين وهم يتقدمون نحوها فحاولت الدفاع عن نفسها ، لكنها قبل ان تتمكن من قذف اقربهم اليها بوعاء الماء اسرع احدهم بوضع يده على فمها ليمنعها من الصراخ وضربها على راسها فتهاوت من بين يديه وقد خمدت انفاسها .

تلك كانت قصة الفتاة البريئة ، وكان تعليل الشيخ الكمراني لظهورها في بعض الاحيان في تلك البقعة ان روحها ربما كانت تهيم في المكان الذي ماتت فيه ربما لتنتقم من الذين فتكوا بها .

جزيرة جبل الطير

وجزيرة أبو علي

جزيرة جبل الطير ، وتسمى في الخرائط البحرية « كواين آيلند » ، تبعد ٢٥٠ ميلا إلى الشمال من جزيرة ميون . وعلى بعد مئة ميل منها تقع جزيرة ابو علي .

وفي الوقت الذي كانت فيه الدولة التركية العثمانية تسيطر على بلدان البحر الاحمر وجزائره وجدت انها لا بد وان تنشيء فنارا او فنارين لارشاد السفن التي بدأ مرورها يزداد بعد افتتاح قناة السويس ، فتعاقدت مع شركة فرنسية متخصصة في هندسة وبناء الفنارات لتشييد فنارين في الجزيرتين . وفي سنة ١٩٠٣ انتهت عملية البناء وبدأت الاضاءة . وكان فنار جبل الطير يشاهد من بعد ثلاثين ميلا .

وكان تشييد الفنارين من صفائح الفولاذ ، وبلغ ارتفاعهما ٦٠ قدما وعلى قمتيهما وضعت فوانيس الاضاءة .. وقد تطلب البناء قطع الصخور الشديدة الانحدار في جزيرة ابو علي لشق طريق إلى الذروة المسطحة لتسهيل نقل الماء ومواد البناء نظرا لخلو الجزيرتين من الماء .. وفي اسفل الفنار بناء يسكن فيه عمال الفنار المشرفون على صيانته .

وبعد انتهاء الحرب العظمى الاولى وهزيمة الترك في سنة ١٩١٥ وقعت

مسئولية ادارة الفنارين على وزارة المواصلات المدنية البريطانية وقسم المساعدات البحرية في لندن الذي كلف امانة ميناء عدن بأعمال الادارة والاشراف. وتشرف مع بريطانيا على اعمال الصيانة كل من هولندا والمانيا وايطاليا.

وقد جرت العادة على قيام سفينة من عدن مرة كل شهر تحمل المؤن والماء العذب وتغيير المشرفين اذا دعت الضرورة .. والموظفون التابعون للفنارين اثنان من المالطيين في كل فنار وعدد من العمل العرب. ويستعمل هؤلاء الموظفون حمارا لنقل الماء من الخزان إلى مسكنهم.

وفي اواخر الخمسينات رؤى ان الوقت قد حان لتطوير الفنارين وتجهيزهما بالمعدات الحديثة وتغيير العدسات. لكن العمل تأجل نظرا لضخامة الميزانية الخاصة بذلك العمل. وقد استعيض عنها بآلة اضاءة كهربائية مؤقتة تعمل بالبطاريات التي يجري تغييرها مرة كل اربعة اشهر.

وقد حدثت حادثة مثيرة لعمال فنار جبل الطير في سنة ١٩٦٧ فبينما كان العمل جاريا في تفكيك الفانوس القديم ونقل الواح الزجاج الضخمة إلى اسفل الدرج انكسرت لوحة واصابت قطعة زجاج معصم احد العمال بقطع بالغ جعل الدم ينزف بغزارة.

وقام مهندس الفنار باجراء الاسعاف الاولى لكن خطر النزيف كان لا زال قائما. ورفع علم الخطر طلبا للمساعدةالطبية العاجلة. وشاء حسن الحظ ان تمر سفينة شاهدت العلم وارسلت اشارة النجدة بالراديو. وفي الليل التقطت سفينة الزيت البريطانية « ايثل نايت » الاشارة وتوجهت نحو جبل الطير وتوقفت وارسلت زورقا لنقل الجريح إلى السفينة ثم إلى عدن. ووصلت الاشارة ايضا إلى قسم الانقاذ الجوي والبحري في عدن فخرج زورق بحري سريع تابع لسلاح الطيران البريطاني يحمل طبيبا وممرضين وتبادل الزورق الاشارة مع ناقلة الزيت فتقابلا على بعد ٤٠ ميلا من جزيرة ميون ونقل الجريح إلى الزورق حيث عولج وانقذت حياته.

جزر غير مأهولة

تقع في منطقة جزيرتي ابو علي وجبل الطير مجموعة من الجزر لبعضها اسماء انكليزية كما تظهر في الخرائط ، واكبر هذه الجزر حجما « زُقَر » التي يبلغ ارتفاعها في الشمال ٦٢٤ قدما وفي الجنوب ٨٢٧ قدما عن سطح البحر .

وإلى الشمال من زقر جزيرة صغيرة اسمها في الخرائط « الجزيرة العالية » HIGH ISLAND وإلى الغرب « جزيرة اللخم — القرش » SHARK ISLAND و « الجزيرة القريبة » NEAR ISLAND وإلى الجنوب الشرقي جزيرتان صغيرتان تسميان « جزيرتا اللسان TONGUE ISLAND وإلى الجنوب الشرقي مجموعة جزر تسمى الجزر السفلى LOW ISLANDS وجزيرة حنيش الصغرى التي يبلغ ارتفاعها ٦٢٧ قدما .

وإلى الجنوب الغربي من حنيش الصغرى تقع جزيرة حنيش الكبرى التي يبلغ ارتفاعها ١٣٣٥ قدما .

وإلى الشمال من حنيش الكبرى تقع جزيرة هيكوك HAYCOCK ISLAND التي يبلغ ارتفاعها ٥١٨ قدما، وجزيرة القمم PEAKY ISLAND وإلى الشمال الشرقي جزيرة مشيجرة ، وإلى الشرق جزيرة ابو علي التي تعرف في الخرائط

باسم كواين QUION ISLAND والجزيرة الدائرة الشمالية N. ROUND ISLAND والجزيرة الدائرة الجنوبية SOUTH ROUND ISLAND وإلى الجنوب الشرقي تقع جزيرة القمتين DOUBLE PEAK ISLAND وجزيرة سيول حنيش التي يبلغ ارتفاعها ٣٧٧ قدما .

ثمة جزر ومرتفعات صخرية اخرى في نفس المنطقة يبلغ عددها حوالي احد عشر .

وبالقرب من ساحل المخا إلى الجنوب من حصن الطائرة تقع جزيرة زيادى التي يكاد راسها الشمالي يلامس مدينة المخا .

وعند خور ميناء غلافقة في مواجهة قريتي الصيد الساحلتين شُرَيم والطيف تقع جزيره راس مجاملة .

وفي داخل خور كثيب بين راس الغدير وراس كثيب إلى الشمال مــن الحديدة تقع جزيرتان صغيرتان . وإلى الغرب من راس عيسى في شبه جزيرة الصليف تقع جزيرة الريشة .

وفي شمال راس طويس في جزيرة كمران تقع جزيرتان صغيرتان تسمى كبراهما جزيرة عثمان رامز ، وربما انما سميت كذلك نسبة إلى احد الحكام او إلضباط العثمانيين اثناء الاحتلال العثماني لليمن وجزيرة كمران .

وإلى الشمال الغربي من كمران نجد جزيرة العقبان الصغيرة ، وإلى الشمال الغربي من هذه الجزيرة نجد جزيرتين كبراهمــا تسمى جزيرة البوضي وإلى الشرق من هذه الجزيرة نجد جزيرة العقبان الكبيرة .

وإلى الشمال من جزيرة البوضي تقع جزيرتان هما كَدَمان الكبيرة وكَدَما الصغيرة .

وفي مواجهة ساحل قبائل بعاجة بين القريتين الساحليتين جهر وعكام تقع جزيرة ارماك التي يظهر انها كانت مأهولة بالسكان لاننا نجد فيها خرائب قرية مهجورة .

وفي مواجهة ميناء « اللّحيّة اليمنية نجد مجموعة من الجزر اكبرها حجما جزيرة انتفوش التي ترتفع ٣٦ قدما وإلى الغرب منها تقع جزيرة كوتمة التي ترتفع ٣٠ قدما .

وإلى الشرق من انتفوش تقع جزيرة الكوسي الكبيرة وجزيرة الكوسي الصغيرة وجزيرة البوارد . وإلى الشمال الشرقي منها تقع جزيرة الحمراء . وإلى الشمال والشمال الشرقي من الحمراء تقع جزيرة التلوين وجزائر برّي وجزيرة الابن .

وبالقرب من راس الخطيب حيث يقع مصب وادي عين والى الغــرب الشمال الغربي من الراس تقع جزيرة الظهاير وجزيرة الجريب وجزيرة الرقل وجزيرة الزهال .

وإلى الشمال من هذه الجزر تقع في مواجهة مينائي جيزان وابو عريش مجموعة جزر فرَسان التي ذكرها المؤرخ اليمني الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب .

وفي خط الطول ٤٢ درجة وخط العرض ١٦ درجة إلى الجنوب الغربي من جزيرة كمران تقع جزر الزبير التي تتكون من جزيرة جبل الزبير التي يبلــغ ارتفاعها ٢٢٤ قدما وإلى جنوبها الغربي تقع جزيرة القمة الوسطى CENTRE PEAK ISLAND وإلى الشمال الغربي تقع جزيرة الصباح والجزيرة السفلى LOW ISLAND وجزيرة السرج SADDLE ISLAND وجزيرة القمة المسطحة TABLE PEAK

ISLAND والجزيرة الوعرة RUGGED ISLAND وجزيرة هيكوك HAYCOCK ISLAND وجزيرة كواين QUION ISLAND

وثمة جزر أو مرتفعات إلى الجنوب الغربي من جزيرة حنيش الكبرى وجزيرة سيول حنيش وتحمل اسم « الجزر المحبّكة » . وبعضها تحمل نفس الاسماء التي تحملها بعض الجزر المذكورة آنفا، وهي جزر هيكوك HAYCOCK ISLAND والجزيرة العاليـــة HIGH ISLAND والجزيرة المسطحة FLAT ISLAND وجزيرة حربي وجزيرة سيال .

جزيرة ميّون « بريم »

تقع جزيره ميون في مضيق باب المندب على بعد ميل ونصف من الساحل العربي واحد عشر ميلا من الساحل الافريقي ، وتفصل باب المندب إلى قسمين ، (واحد) المضيق الصغير الذي يفصل الجزيرة عن الشاطيء العربي وعرضه نحو ثلاثة كيلومترات و (٢) المضيق الكبير وعرضه نحو ٢١ كيلومترا .. وتستعمل السفن المضيق الصغير نظرا لوجود مجموعة من الجزر البركانية الصغيرة المسماة « الاخوات السبع » في المضيق الكبير .

وتتكون جزيرة ميون من تشكيلات صخرية بركانية هي عبارة عن مجموعة من التلال التي تنحدر نحو الشاطيء وتحيط بالميناء الواسعة الآمنة البالغ طولها حوالي ميل ونصف وعرضها نصف ميل . ويبلغ اعلى ارتفاع في الجزيرة نحو ٢٤٥ قدما . وتبعد الجزيرة حوالي ١٠٠ ميل عن ميناء عدن ومئتي ميل عن جزيرة كمران .

زار الجزيرة البحار اليوناني المجهول الاسم وذكرها في كتابه « الطواف حول البحر الاحمر » باسم « ديو دورس » .

واحتلها البرتغاليون سنة ١٥١١ بقيادة الفونسو ديلبو كيرك عند عودته من

البحر الاحمر وشيد بنايات عسكرية في الراس الشمالي للميناء ونصب في اعلى قمة فيها صليبا وسماها « فيرا كروز » . ولم يبق فيها طويلا لعدم وجود ماء فيها.

واحتلها القراصنة الذين كانوا يطوفون البحر الاحمر ويهاجمون السفن التجارية ويستولون على ما تحمله من اموال ثمينة .. وكان القراصنة قد ازمعوا البقاء فيها وتحصينها لكنهم هجروها بعد محاولاتهم المتكررة الفاشلة للحصول على الماء واستبدلوها بجزيرة ماري في الجانب الشرقي من جزيرة مدغشقر (مالاجاسي) .

ثم جاءها الفرنسيون في سنة ١٧٣٨ وقاموا بحفر بئر ظهر ان ماءها كان مالحا فانسحبو منها .

وحين احتل الفرنسيون مصر بقيادة نابليون بونابرت كانت الجزيرة لا تزال مهجورة لا يعيش فيها احد ، وحاول نابليون الاتصال بعناصر وطنية معادية لبريطانيا في الهند وخاصة بالثائر الهندي المسلم « تيبو صاحب » فتنبهت بريطانيا إلى الخطر وطلبت من شركة الهند الشرقية ان تشير على حاكم بومباي بأن يحتل الجزيرة ويضع فيها مدافع ساحلية تسيطر على مضايق باب المندب وتقطع الطريق إلى الهند على السفن الفرنسية . وكتب قائد البحرية البريطانية رسالة إلى امير البحر البريطاني رينيه في ١٨ نوفمبر ١٧٩٨ يخبره فيها بقرار اتخذته اللجنة السرية لمجلس المديرين التابع لشركة الهند الشرقية باحتلال ميون ، وعليه جهزت حكومة بومباي فرقة بقيادة لفتننت كولونيل موراي بمساعدة اسطول يقوده امير البحر بلانكت . ونزلت الفرقة في الجزيرة في ٣ مايو ١٧٩٩.

وصادفت المتاعب الكولونيل موراي فكتب إلى حكومة بومباي رسالة يقول فيها بان من المستحيل على بطارية الساحل ان تتحكم في المضايق الواسعة ، وان السفن يمكنها المرور بعيدا عن مرمى المدافع بعكس التقارير التي ذكرت ان الشعاب والمرتفعات كانت تجبر السفن على الاقتراب من الجزيرة لتتفادى خطر الاصطدام . واضاف موراي ان مهمته كانت شديدة الصعوبة ، وان

البقاء في الجزيرة مستحيل لأنها تخلو من الماء العذب . وحين استلمت حكومة بومباي تلك الرسالة لم تشأ ان تعترف بخطأ ارسالها رجالا وسفنا ومدافع إلى جزيرة عديمة الفائدة وخالية من السكان ، ولذلك فقد ردت عليه انه لا بد وان يكون مخطئا لأن حكومة بومباي كانت قد تلقت معلومات من تاجر عربي بوجود بئر في الجزيرة وان على الكولونيل ان يبحث عن البئر لأن التاجر العربي لم يكن لديه سبب يدعوه لتقديم معلومات كاذبة .

وذهبت الجهود سدى ، فلم يكن للبئر وجود . واستغل سكان القرية المواجهة لميون الموقف فكانوا يجلبون الماء من الساحل العربي على زوارقهم ويبيعونه على الجنود . وبعد فترة قليلة توقفوا . فكتب الكولونيل إلى القنصل البريطاني في المخا يطلب منه ارسال الماء ، وهنا برزت مشكلة ، فقد كان بحارة القرى الساحلية يطلبون نقودا ولا يقبلون ورق نقد ولا تحويلات مالية مقابل نقلهم الماء من المخا إلى ميون . ولما صرف القنصل كل ما معه من نقود ذهبية امتنع البحارة عن نقل الماء .

وطلب موراي المساعدة من قائد الاسطول امير البحر بلانكت فذهبت فرقة بحرية إلى ساحل الصومال والحبشة لكنها فشلت في الحصول على الماء فاضطر بلانكت إلى تقديم جزء من مخزون الاسطول لجنود ميون . وكانت النتيجة نزاعا حادا بين القائدين البري والبحري فقد كتب موراي إلى بلانكت بان نصف اوعية الماء كانت مخروقة يسيل منها الماء وان النصف الآخر كان قذرا . ورد بلانكت غاضبا بان الاوعية كانت نفس الاوعية المستعملة في الاسطول ، وانها اذا كانت مخروقة فان السبب هو الجنود الذين كانوا يحملونها ويقذفون بها بخشونة وانه بعد ذلك غير مسئول عن تموين جنود الجزيرة بالماء .

وفي تلك الاثناء كان الاسطول البريطاني بقيادة امير البحر نلسن قد تمكن من قهر الاسطول الفرنسي بالقرب من « ابو قير » في الساحل المصري واضطر الفرنسيون إلى الانسحاب من مصر .. لذلك ابتعد الخطر الذي كان يهدد الوجود

البريطاني في الهند فأمرت حكومة بومباي موراي بالعودة إلى الهند . وكانت عودته عن طريق عدن .

الا أن بريطانيا التي كانت قد احتلت عدن في سنة ١٨٣٩ عادت فاحتلت الجزيرة سنة ١٨٥٧ لتشييد فنار ليرشد السفن التي تستعمل باب المندب . وبين سنة ١٨٥٧ وسنة ١٨٦١ تم بناء الفنار الذي بلغ ارتفاعه ٩٠ قدما وامكن مشاهدة انواره من بعد ٢٢ ميلا .

وارسلت حكومة الهند جنودا لحراسة الفنار . وفي سنة ١٨٥٧ صارت عدن وميون جزءا من الامبراطورية البريطانية . وفي سنة ١٩١٢ اعيد تحسين الفنار وجهز بفتيلة وهاجة كانت تعتبر حينذاك احدث ما يمكن تجهيزه . وفي سنة ١٩٦٤ ادخلت عليه الكهرباء فصارت له قوة اربعة ملايين ومئتين وعشرين الف شمعة . واصبح اقوى فنار في المنطقة كلها .

ويعتقد خبراء الفنارات ان للاضاءة عدسات جيدة وقد صارت كهربته بحيث انه اذا ما حدث خلل في الآلات الكهربائية وانطفأ يمكن في خلال دقائق قليلة الاستعاضة بطريقة الاشعال بالزيت . ويقع فانوس الفنار فوق برج مشيد بالحجارة على اعلى بقعة في الجزيرة في موضع حصن قديم .

وتطورت الجزيرة بعد افتتاح قناة السويس في سنة ١٨٦٩ وبدأت السفن تمر بكثرة في مضائقها ليلا ونهارا دون خوف من الشعاب والصخور البارزة في الماء .

وفي سنة ١٨٨٣ اسست هيئة تجارية في الهند شركة للفحم في الجزيرة تدار من بومباي لكن اسمها تغير إلى « شركة بريم للفحم » وصارت تدار من لندن . وفي سنة ١٨٨٤ قامت شركة البرق الشرقية بانشاء محطة لها ومدت اسلاكا تحت البحر إلى عدن وإلى ساحل افريقيا .

واستمرت الشركة تعمل في تموين السفن حتى سنة ١٩٣٦ . وفي خلال

هذه الفترة من السنين قامت مدينة ميون الصغيرة المكونة من البيوت والفيلات والمعامل والمنشآت وفندق لاستقبال السواح وركاب السفن ومكاتب الشركات ودور الحكومة ومدرسة ومسجد وناد رياضي ومصنع لانتاج الثلج وممـــرات للسفن ومحطة لتقطير الماء العذب من ماء البحر . وانشئت سلطة للميناء لها مرشدون بحريون وخدمات صحية ومهندسون للسفن التي تزور الجزيرة للتزود بالوقود والمواد الغذائية .

واسست شركة لويد اللندنية محطة اشارات فوق الجزيرة وصارت ميون قادرة على استقبال تسع سفن بضاعة من عابرات المحيط وبواخر لا يتعدى طولها ٧٣ قدما و ٦ بوصات .

واستطاعت هذه التسهيلات أن تقدم ترميمات للسفن وخدمات طبية كما وجد الموظفون الاجانب تسهيلات رياضية كافية فانشئت ميادين للتنس والكريكت وكرة القدم والجولف والسباق . ومنذ بدء الحركة في ميون كانت الجزيرة في حراسة جنود من الهند ثم جنود من فرقة المشاة اليمنية التي تأسست في عدن . وفي الثاني من سبتمبر ١٩٢٤ وقعت فتنة واطلق الجنود الرصاص على قائدهم الملازم لورنس وقتلوه ثم فروا بالسلاح إلى الساحل اليمني . وفي سنة ١٩٢٨ ارسلت حكومة عدن فرقة صغيرة من جنود شرطة عدن المسلحة للقيام بأعمالها في الجزيرة .

ولانتهاء مجد الجزيرة قصة عجيبة . فقد تضافر الزمن وتطوراته وما قيل عن خيانة الموظفين على التدهور الذي حل بالجزيرة وسكانها . لقد جاء عهـــد السفن التي تسير بوقود الزيت لانه انظف واقل ثمنا من الفحم . وكانت ميناء عدن قد بدأت تموّن السفن بالزيت في سنة ١٩٢١ ، ومنذ ذلك الحين ادخلت التحسينات على الميناء وعمقت ممرات السفن وصارت عدن أعمق وآمن ميناء على طول الطريق البحرية بين السويس وبومباي فكان هذا التحسين اول الاسباب التي قضت على شركة بريم للفحم .

ووقع السبب الثاني في الفترة بين سنة ١٩٣٠ وسنة ١٩٣٥ . فقد قيل أن كبار موظفي الشركة تآمروا على تموين السفن بالفحم ناقصا . فعندما يكـــون الفحم على ظهر السفينة يقذف العمال بقسم منه إلى البحر . وحين تقلع السفينة يأتي العمال بالزوارق ويجمعونه من البحر ويجففونه ، وبعد ذلك يباع على سفن اخرى قادمة ، ويستولي كبار الموظفين ورؤساء العمال على قيمته . واكتشفت شركات الملاحة هذا التلاعب فساءت سمعة الشركة وامتنعت عن زيارة الجزيرة . وفي سنة ١٩٣٦ لم تزرها سوى سفن قليلة . وفي سنة ١٩٣٧ أنهت شركة بريم للفحم اعمالها ورحل الموظفون الاجانب إلى بلدانهم ولم يبق غير نائب المدير الذي صفى اعمال الشركة واحرق جميع اوراقها وملفاتها ومستنداتها وسجلاتها. اما الممتلكات الاخرى للشركة مثل العمارات المؤثثة والمعامل والورشات والزوارق والممرات والآلات فقد بيعت باسعار منخفضة على المشترين الواردين من الهند وعدن وافريقيا . اما اخشاب العمارات كالابواب والنوافذ والسقوف فقد نزعت واستعملت في اغراض اخرى . وبقيت عمارتان صالحتان هما دار المدير التي استعملت للمقيم ومكتبا مخصصا للاعمال الادارية الحكومية . ولما عجزت الشركة عن تسديد قيمة الارض للحكومة كانت النتيجة ان ذهبت كثير من المبالغ التي بيعت بها ممتلكات الشركة إلى الحكومة .

وكانت الجزيرة جزءاً من مستعمرة عدن الا ان الحكومة البريطانية قامت بتغييرات دستورية جعلت الجزيرة منطقة بريطانية يدبر شئونها حاكم عـــدن وتدفع نفقاتها الحكومة البريطانية .

وفي ٢٧ يوليو ١٩٦٧ اصدرت الحكومة البريطانية قانون عدن وجـــزر ميون وكوريا موريا أنهت فيه الحكومة البريطانية سيطرتها على هذه المناطق وانها لن تكون بعدئذ مسئولة عنها .

وقبيل الجلاء عن عدن حاولت بريطانيا ان تثير قضية ميون في هيئة الامم المتحدة وتحويل الجزيرة إلى منطقة دولية تشرف عليها هيئة الامم المتحدة لكنها فشلت في مشروعها .

اسم الجزيرة

رأينا ان الملاح اليوناني المجهول الاسم سمى الجزيرة ديودورس ، وان البرتغاليين اطلقوا عليها اسم فيرا كروز . ونلاحظ اسمها في الخرائط والكتب حتّى العربية جزيرة بريم بينما اسمها العربي الصحيح « ميون »

والجدير بالذكر ان ميناء ميون تنشأ من جبلين عند المدخل المقابل للساحل الافريقي ويسمى احد الراسين « المنهل » ـ مكان الشرب ـ والثاني « الميون » واللفظة الاخير مشتقة من الفعل « مان » وتعني « كذب » . والمعروف كما ذكرنا ان الجزيرة خالية من ماء الشرب فهل سخر العرب من الجزيرة حين سموا احد الراسين المنهل (مكان الشرب) وسموا الآخر « الميون » (الكذبة) .

وكان السبب في تسمية المضايق بباب المندب هو خطورتها وتعرض السفن للاصطدام بالصخور البارزة وتحطمها وضياع بحارتها وركابها حتّى لقد قيل بان عائلات البحارة كانت تندبهم وقت رحيلهم نحو باب المندب . ويسمى الباب ايضا « باب الدموع » . وكانت الاساطير القديمة تطلق على البحر المحيط بميون اسم بحر الموت .

ويعيش في ميون في الوقت الحاضر بضع مئات من السكان البحريين وصيادي السمك واسرهم ويعتمدون على عدن في الحصول على الضروريات . اما الماء فيحصلون عليه من آلة التقطير

ومهما يمكن حال الجزيرة اليوم فان بحرها الغني بالسمك يمكن ان يجعل منها مشتّى جميلا لعشاق رياضة صيد السمك وربما لانشاء معمل لتعليب السمك وتصديره إلى جانب كونها منطقة حربية استراتيجية تسيطر على مدخل البحر الاحمر .

جزيرة صيرة

تقف جزيرة صيرة تجاه مدينة عدن كحارس امين ، تربطها بالمدينة طريق تتسع لعربة واحدة في وسطها جسر تمر من تحته قوارب صيد السمك . ويرتبط تاريخ الجزيرة بتاريخ عدن لانها المركز الامامي في الدفاع عن ميناء صيرة . وعلى مر الزمن شيدت الحصون والابراج على قمة جبلها وسفحه لتسيطر على مساحة واسعة من البحر وعلى السفن الداخلة إلى الميناء والخارجة منها . وفي فترات من تاريخ عدن كان سجن عدن وجمركها في صيرة . وقد لعبت الجزيرة دورا مهما خلال الغزو البرتغالي والمصري والعثماني والبريطاني وشاهدت كثيرا من الانتصارات والمآسي .

وبالنظر إلى ان عدن كانت تتكون من اخدود هائل كان بركانا ثائرا في الازمنة الموغلة في القدم فقد الفت القصص والاساطير عن عدن وجزيرتها .

وتذكر اولى الاساطير ان قابيل بعد ان قتل اخاه هابيل فر إلى عدن مع اخته اقليمة ليحتميا فيها من غضب ابيهما آدم . وبعد ان دفنا جثة هابيل فوق جبل يقال انه جبل التعكر (ويسمى الآن جبل حديد) ظهر لهما ابليس واغراهما على عبادة النار وبنى لهما معبدا فوق جبل صيرة .

شيطان البئر

ذكر الكتاب المسيحيون ان القديس بارتلميو زار عدن وهو في طريقه إلى الهند ، وانه رأى اهالي عدن واقعين تحت سيطرة الارواح الشريرة ، يعبدون النار والشيطان ويقدمون القرابين . وكان الشيطان يسكن بئرا يقال انها تقع فوق جبل صيرة ، ويقال انها في شارع الزعفران . وكان الناس يحصلون على مائهم من هذه البئر . وحين يجتمعون حولها يصرخ الشيطان من بطنها ويقذف اللهب فيخر الناس سجدا . وغضب القديس وقرر ان يحضر ويشاهد اعمال الشيطان . ولما رأى الشيطان القديس صرخ وقذف اللهب ، فوضع القديس عباءته حول وجهه وتقدم وهو يقول « باسم المسيح المنقذ ابتعد ايها الشيطان وليتجمد ماء هذه البئر » . وفي الحال انطفأت النار وغاب الشيطان إلى غير عودة وتجمد ماء البئر .

حينما تقوم الساعة

في القصص الاسلامية ان سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام قال عندما ذكر اشراط الساعة « نار تخرج من قعرة عدن تطرد سالناس إلى المحشر » . وقد روى الحديث الامام مسلم في صحيحه . وذكر ابن المجاور ان هذه النار تخرج من البئر التي في جبل صيرة وانها موجودة . ويقال ايضا ان البئر هي التي في سوق الصاغة والصيارف في مدينة عدن ، وان القول بان النار تخرج من عدن لا يدل على مذمة عدن وانحطاط مقدارها ، فان رسول الله قد قال « يخرج من عدن اثنا عشر الفا ينصرون الله ورسوله وهم خير من بيني وبينكم » ، وقد روى الحديث الطبراني .

وقال القاضي ابو الطيب عبدالله با مخرمة : « في رأس جبل صيرة حصن قديم فيه رتبة وانه سمع ان القاضي العدني جمال الدين ابن كبّن طلع إلى رأس هذا الجبل ومعه جمع من اعيان البلاد فأدلوا بالبئر المذكورة حبلا ثم رفعوه وقد احترق طرفه . وقال شيخنا الوالد رحمه الله فلما حكيت هذه القصة للملك

المجاهد علي بن طاهر قرر ان يصعد إلى الجبل في يوم مقرر ولكن حين حـــل ذلك اليوم وصلته اخبار بمقتل اخيه الملك الظافر عامر بن طاهر عند ابواب صنعاء فألغى رحلته إلى الجبل وغادر عدن إلى صنعاء

وذكر ابن المجاور ايضاً جبل صيرة الشامخ في البحر وجبل المنظر المقابل له وان بالجبل بئرا تسمى عنبر ، وتسمى عند حكماء الهند « بيران » يخرج منها طول الحياة دخان ويسمى الآن « بئر الهرامسة » وليس يمكن لاحد النظر فيها من وهج النار وتوجد حول البئر حجارة مكسرات وافاع نائمات وحيات قائمات .

وفي القرآن الكريم ، « وبئر معطلة وقصر مشيد » . ويفسر بعض الناس ان البئر هي بئر الرئيس او بئر الرأس في عدن وانها كانت لأمة من بقايا ثمود .

وكان اهالي عدن في العصور الماضية يعتقدون بوجود الجن والعفاريت في جزيرة صيرة . وحينما كان دخول السفن متعسرا بسبب الرياح الموسمية كان الاهالي يأخذون سبعة ثيران إلى جبل صيرة وقت غروب الشمس ، وبعـــد منتصف الليل يذهبون ويختارون واحدا يربطونه هناك ويعودون بستة . وقبيل انبثاق الفجر يذبحون الثور المربوط ويقذفون بلحمه . وكانون يعتقدون بان السفن تستطيع بعد ذلك ان تدخل الميناء بسلام . واستمرت هذه العادة سارية حتى ابطلها بنو زريع .

وعادة القرابين والنشوح لا تزال باقية إلى اليوم في بعض البلدان الاسلامية ومن بينها عدن .

آلهة الهندراما وسيتا وهانومان وراون

في ليلة كئيبة من ليالي « ايوديا » عاصمة المقاطعة الهندية « كوسالا » تسلل الجني راون إلى القصر الملكي ودخل غرفة نوم الاميرة سيتا زوجة الامير راما ولي عهد الملك « داساراتا » . ونظر راون إلى الجمال النائم ومد يديه الضخمتين

ورفع السرير وطار به في الهواء حتّى وصل إلى قمة جبل صيرة الذي يربض امام مدينة عدن . وجلس راون على صخرة ثم قام والقى على الاميرة نظرة ثم حملها بين ذراعيه وهي تناضل عن حريتها .

وفي تلك الاثناء كان البحث جاريا عن الاميرة سيتا . وما ان علم هانومان ذو الروح المقدسة وشكل القرد بنبأ اختطاف الاميرة حتّى حفر نفقا تحت البحر من مدينة « اوجين فكرا ماديتا » حتّى وسط جزيرة صيرة . ومن فتحة النفق رأى الاميرة ممددة تحت شجرة شوك فاقدة الوعي . ولم يكن راون موجـــودا حينذاك فحملها هانومان برفق وهبط بها النفق وسار بها مسرعا حتّى وصل إلى اوجين عند الفجر وسلمها لزوجها الذي فرح واقام الزينات في طول البـــلاد وعرضها .

ولما رزق الاميران ولدين ذكرين سمياهما « لاف » و « كش » .

اما القصة الهندية فتقول ان الاميرين راما وسيتا كانا منفيين في غابة « وندك » حين قام راون ملك الجن باختطاف سيتا وحملها في عربته الطائرة . وفي طريقه اعترضه جاتايو ملك النسور وهاجمه لينقذ الاميرة ، لكن راون تمكن مـــن اصابته بجرح مميت فسقط من عليائه إلى الارض . وفي اثناء الصراع وقعت عباءة الاميرة وعقدها على الارض بالقرب من جاتايو .

وحين انطلق راما مع اخيه لكشمن للبحث عن سيتا التقيا بجاتايو وهـــو يصارع الموت . وقبل ان يلفظ آخر انفاسه سلمهما عباءة سيتا وعقدها ونصحهما بان يطلبا مساعدة سوجريفا ملك القرود . وفي طريقهما قابلا القرد الطاعن في السن هانومان الذي انصت اليهما باهتمام ثم قال لهما انه رئيس قبيلة فانار وسفير الملك سوجريفا الذي كان في تلك الاثناء في حرب مع اخيه « بالي » الذي اغتصب العرش واعلن نفسه ملكا على كشكاندا . ووعدهما هانومان بالحصول عـــلى مساعدة الملك اذا قبل راما ان يساعد الملك في حربه واستعادة عرشه .. وقبل راما واشترك في الحرب وتمكن من قتل المغتصب بالي بسهم سحري حصل عليه من احد الزهاد .

ووفى سوجريفا بوعده وجهز اربعة جيوش إلى اركان العالم الاربعة للبحث عن سيتا واسند قيادة احد الجيوش إلى هانومان الذي خرج بالجيش زاحفا من مكان إلى مكان حتى التقى بسامباتي شقيق ملك النسور الصريع جاتايو وقال سامباتي انه بينما كان يقوم باحدى محاولاته للوصول إلى الشمس رأى راون يطير بعربته نحو لانكا عاصمة الجن .

وتوجه هانومان نحو المحيط لكن الامواج الثائرة منعته من الاستمرار في الزحف فتسلق اعلى قمة ثم قفز قفزة هائلة عبر بها المحيط حتى حطت قدماه في لانكا . وبعد ان اخذ شيئا من الراحة رأى القصر محاطا بحرس قوي فحول نفسه إلى قرد ضئيل الحجم ثم تسلل إلى غرفة وجد فيها الامير سيتا ممددة فاقدة الوعي فاقترب منها وهمس في اذنها باسم زوجها وانبائه ونصحها بالاعتصام بالصبر حتى يجد وسيلة للهجوم بجيشه على مدينة لانكا .

الا ان هانومان عاد إلى شكله المعتاد ولاول مرة احس بالاعتزاز بضخامته وقوته الجبارة وظن انه وحده قادر على تهديم عاصمة الجن . ووقف على قمة وبدأ يقذف الحجارة الضخمة وجذوع الاشجار على المدينة فهدم عددا من منازلها . وتنبه الجن ووقف راون ينظر إلى هانومان بعينين يتطاير منهما الشرر ثم سدد نحوه حربته الهائلة فتوقف هانومان عن قذف الصخور والجذوع ولم يعد يستطيع حراكا وتمكن راون من تقييده بالسلاسل .

وبعد حين اشعل النار في ذيل هانومان الذي ما ان احس بها حتى حطم السلاسل وانطلق بقوة مخترقا القصر والمنازل المجاورة مشعلا فيها النار ، ثم استعاد نشاطه وقفز قفزة عادت به إلى جيشه .

وفي تلك الاثناء كان « فيبهيشان » شقيق راون يحاول ان يقنع اخاه بالتخلي عن تصرفاته التخريبية ويعيد الاميرة سيتا إلى زوجها . ولما رفض راون طار فيبهيشان إلى هانومان واعلن استعداده لمساعدته ونصحه بان يبني جسرا ليتمكن الجيش من العبور عليه .

وارسل هانومان إلى راما طالبا منه الحضور لتقديم ارشاداته الحكيمة ولقيادة الجيش وقام ملايين القرود بالعمل ليلا ونهارا في بناء الجسر من الحجارة واغصان الاشجار واتموه في خمسة ايام . وقام راما بقيادة الجيش الكثيف وهجم على لانكا والتحم الفريقان في معركة عنيفة قتل فيها راون وشقيقه كامباكارنا ملك العواصف بسهمين اطلقهما راما .

وانتصر راما وانقذ زوجته ثم امر بذبح جميع رؤساء الجن . وقبل ان يعود إلى بلاده اعلن نبأ القضاء على مملكة الجن ثم قدم تاج المملكة إلى الجني النبيل فيبهيشان .

بعد ان اوردنا هذين الوجهين لقصة راما وسيتا نرى الاشارة إلى ان المؤرخ ابن المجاور اكد بان الجني راون – او رافانا – سكن في عدن وقال بان الهنود ذكروا بان عدن كانت سجنا لداماشور – او دس سير – ذى الرؤوس العشرة الذي كان احدها راس غزال . وتذكر الاسطورة الهندية ان راون كانت له عشرة رؤوس .

اسم الجزيرة

ظن بعض الكتاب ان البرتغاليين هم الذين اطلقوا اسم « صيرة » على الجزيرة وعلى جبلها وساحلها . وهذا غير صحيح فالاسم قديم ، وكلمة « صِيْرَ » تعني السمك الصغير – الساردين – وتعني ايضا الشق والكهف . والمعروف ان جبل الجزيرة يمتلىء بالشقوق والكهوف كما تكثر عنده الحيتان الصغيرة المعروفة بالعيدة

بالاضافة إلى ذلك ان القائد البرتغالي الفونسو ديلبو كيرك الذي حاول احتلال عدن وفشل قال عن الجزيرة ان العرب يسمونها « صيرة » .

الغزو البرتغالي

كان القتال شديدا بين الصومال المسلمين والاحباش المسيحيين ، وكانت

الدولة الصومالية الاسلامية قد انتشرت على طول الساحل وشقت طريقها إلى الداخل حاملة رايات النصر حتى نواحي بحيرة « تانا » ، ولما رأى الاحباش انهم وحدهم لا يستطيعون ان يصدوا الجيوش الصومالية طلبوا من ملك البرتغال ان يساعدهم في القضاء على دولة الصومال وعلى الدولة الظاهرية في اليمن .

وفي ليلة عيد الفصح من شهر فبراير ١٥١٣ (٩١٩ هـ) وصلت إلى شواطىء عدن عشرون سفينة حربية برتغالية تحمل ١٧٠٠ برتغالي و ٥٠٠ هندي بقيادة الفونسو ديلبوكيرك وفي صباح الثلاثاء نزل ٧٠٠ برتغالي و ٥٠٠ هندي إلى ساحل صيرة وساحل حقات بعد قصف شديد بالمدافع من الجانبين ، وتسلق بعضهم سور حقات بواسطة سلالم ... وبعد حصار دام أربعة أيام انهزم البرتغاليون أمام الهجوم المضاد الذي شنه جنود عدن بقيادة حاكمها الامير مرجان بن عبد الله الظافري ... وجرت معركة طاحنة في ساحل صيرة قتل فيها عدد كبير من البرتغاليين الذين انتشرت جثثهم على طول الساحل . وكانت ترسو في ميناء صيرة سفن عدنية أمر الفونسو باحراقها كما أمر بضرب عدن بالمدافع . وبعد ذلك انهزم إلى البحر على أمل أن يتصل بحلفائه الاحباش .

جزيرة العبيد

وجزيرة الشيخ احمد

كان ميناء عدن في العصور الماضية يقع في ساحل صيرة في مدينة كريتر ـ عدن ـ ثم انتقل إلى المعلّى والتواهي ... وكان ميناء التواهي يسمى بندر التواهي ويقع في خليج عدن الغربي ويتكون من شبه جزيرة جبل احسان غربا وجبل شمسان شرقا ويبلغ طوله حوالي ثمانية أميال من الشرق إلى الغرب وعرضه أربعة أميال ... وينقسم إلى خليجين بواسطة لسان أرضي تمتد نصف ميل إلى الجنوب ، ومن جزيرة علاية والمدخل بين رأس صليل في الغرب ورأس طارشين في الشرق يبلغ ثلاثة أميال وثلث الميل عرضا .

ويوجد عدد من الجزر كبراها تسمى جزيرة العبيد ، وتدعى أيضا جزيرة السواعي (السواعي هي السفن الشراعية ، والمفرد ساعية) . وتقع جزيرة العبيد في مرسى السفن الشراعية في المعلّى تجاه باب السلب في الجانب الشمالي من جبل حديد ، وترتفع أعلى قمة فيه حوالي ٣٠٠ قدم . وفي وقت الجزر يمكن للانسان الوصول اليها من الطريق البحرية المرتفعة التي شيدت في البحر لتربط منطقة خور مكسر بمدينة الشيخ عثمان وبالطريق المؤدية إلى مدينة الشعب وعدن الصغرى . وحين ردم البحر لبناء أرصفة المعلى صارت جزيرة العبيد مرسى اضافيا ومعملا لترميم السفن الشراعية ... وشيدت في الجزيرة

معامل وبنايات ومصانع تجارة لتعليب الحليب و مخازن ومستودعات وناد للزوارق .

وأمام جزيرة العيد تتناثر جزر صغيرة بنيت على اثنين منها مستودعات لتجفيف وخزن السمك والجلود . وهذه الجزر هي صخرتا الاخوين علاية ومرزوق الكبير وقيس الحمال وقلفتين . وبين خليج الغزو (كونكوست بيه) ورأس عتوق تقع جزيرة دنافة الخالية من السكان ... وفي منطقة عدن الصغرى تتناثر جزر صغيرة وصخور بارزة هي سليل والمربعة والطويلة وغيرها .

أما جزيرة الشيخ أحمد فصخرة تقع في ميناء التواهي . سمّيت باسم الولي الشيخ احمد الصياد المقبور في سفح جبل الساعة المطل على ميناء التواهي ويعتبر من المعالم التي يرغب الزوار والسواح في التقاط صور لها لان مسجد الشيخ أحمد الصياد هو أول ما يقابل السواح عند نزولهم إلى الرصيف. وحين احتل الانكليز عدن وقع اختيارهم على ساحل الشيخ أحمد ليكون محطة لخزن الفحم لان السفن كانت تستطيع الرسو على بعد مئة ياردة من المحطة . وقد شيدت فوق الجزيرة بنايات لتكون محجراً صحيا . وبعد الغائه استعملت البنايات منازل للموظفين .. وفي يناير ١٩٦٨ تحولت البنايات إلى مدرسة لتدريب ضباط الهجرة .

جزيرة سقطرة

تتكون بلاد المهرى من قسمين رئيسيين ، الاول يشمل جزيرة سقطرة وفيها كان مقر سلطان المهرى في عاصمتها حديبو ، ويقع القسم الثاني في حضرموت حيث كان يعيش نائب السلطان في العاصمة الساحلية قشن .

وسقطرة هي أكبر الجزر العربية في خليج عدن وبحر العرب ، وتقع في خط الطول ٥٤ درجة شرقا وفي خط العرض ١٢ درجة و ٣٠ بوصة شمالا ، وتبعد نحو ١٣٠ ميلا شرق راس جاردفوي الذي كان العرب يسمونه الراس العسير وأيضا راس التوابل في الجزء الجنوبي من الجمهورية الصومالية ، وتبعد نحو ٣٠٠ ميل عن الساحل العربي و ٥٥٣ ميلاً عن عدن . وتبلغ الجزيرة ٧٥ ميلا طولا و ٢٣ ميلا عرضا ، ومساحتها ١٤٠٠ ميل مربع .

وصفها المؤرخ والجغرافي اليمني أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني قائلا انها وبربرة (في الجمهورية الصومالية) مما يقع بين عدن وبلاد الزنج ثابتا على السمت فاذا خرج الخارج من عدن إلى بلاد الزنج أخذ كأنه يريد عمان وجزيرة سقطرة تماشيه عن يمينه حتى تنقطع ثم التوى بها من ناحية بلاد الزنج ، وطول هذه الجزيرة ٨٠ فرسخا وفيها جميع قبائل المهري .

وفي الجزيرة ثلاثة أماكن يمكن أن توصف بأنها مدن هي العاصمة حديبو وتدعى أيضا تماريدا وقضوب وقلنسية . وتقع الاولى على الساحل الشمالي للجزيرة في سهل عرضه أربعة أميال يتكون من نصف دائرة من الجبال ، وللمدينة منظر رائع جذاب بمنازلها المشيدة بين النخيل ، ويحيط بكل منزل حوش محاط بسور من الاغصان وسعف النخل يزرعون فيه التنباك وغيره . ويحصل سكان العاصمة على الماء من جدول يجري طوال السنة . وتقع حديبو في منطقة العاصمة القديمة « الشق » باللغة السقطرية و « السوق » بالعربية لأنها كانت السوق الرئيسية لمنتوجات الجزيرة من التمر واللبان و دم الاخوين والمر والصبر وغيرها . ويقال ان الاسم الصحيح للجزيرة كان سوق قطرة – أي سوق قطرة دم الاخوين – ولم يبق من العاصمة القديمة سوى خرائب وأطلال تنبيء عن موضعها إلى الشرق من حديبو .

وفي خلال القرن الاول بعد الميلاد قام ملاح بحري يوناني مجهول الاسم برحلات بحرية في البحر الاحمر وخليج عدن وبحر العرب والمحيط الهندي وألف كتابا سماه « الطواف حول البحر الاحمر » وصف فيه الموانيء والجزر والخلجان . ومن بين ما قاله : –

« ... وخلف هذا الخليج – خليج قانأ (او بير علي كما تسمى الآن) – يوجد راس صخري عظيم الضخامة يواجه الشرق يسمى « سياجروس » شيدت عليه قلعة لحماية البلاد . وتوجد هنا ميناء وكذلك مخزن للبان الذي يحصد . وتجاه هذا الرأس ، بعيدا في البحر ، توجد جزيرة تمتد بين هذا الرأس ورأس التوابل المقابل لها ، لكنها أكثر قربا من « سياجروس » ، وتسمي الجزيرة (ديو سكورايدا) وهي كبيرة جدا مليئة بالآجام والمستنقعات وفيها أنهر بها تماسيح وثعابين كبيرة وسحليات ضخمة يأكلون لحمها ويستعملون شحمها بدلا من زيت الزيتون . والجزيرة لا تنتج فاكهة ولا عنبا ولا حبوبا ، سكانها قليلون يعيشون على الشاطيء نحو الشمال حيث تواجه الجزيرة القارة ، وهم أجانب عنها يتكونون من خليط من العرب والهنود واليونانيين الذين

هاجروا اليها للعمل في التجارة والجزيرة تنتج سلحفاة البحر الاصيلة وسلحفاة البر والسلحفاة البيضاء ، وهي كثيرة العدد ويفضلونها من أجل صدفتها الضخمة ، وسلحفاة الجبل التي تعتبر أكبر الجميع وصدفتها أسمك من الاخريات اذ لا يمكن لأصنافها العديمة القديمة أن تقطع من الجزء الداخلي لانها شديدة الصلابة ، لكن الاصناف ذات الفائدة تقطع إلى أجزاء وتوضع في علب وصحون صغيرة وفي أوعية الكعك وما شابهها . والجزيرة تنتج مادة دم الاخوين، «سنابار» التي يسمونها « الهندي » وتجمع قطراتها من الأشجار ».

كان ذلك هو الوصف . أما ديوسكورايدا فهي سقطرة ، وأما سياجروس فهو رأس فرتك . وذكر الهمداني ان من بين سكان الجزيرة عشرة آلاف مقاتل رومي من النصارى طرحهم فيها كسرى ملك الفرس ، ومما يذكر ان الاسكندر الأكبر أسس مستعمرة يونانية في سقطرة لتكون محطة تجارية يونانية مع الهند . والمعروف أنه في أيام حكم الامبراطور قسطنطين (٣٣٥/ ٣٣٠ م) كان اليونانيون يتاجرون مع البلاد العربية وأسسوا لهم مستعمرة في سقطرة لتكون حلقة اتصال تجارية مع الهند . وعاش في هذه المستعمرة اليونانية سوريون ولهذا عرف عن الأهالي أنهم كانوا يتكلمون لغة السوريين في القرن الرابع الميلادي .

واكتشف كوزموس في القرن السادس الميلادي ان الأهالي كانوا يتكلمون اليونانية .

وفي أيام بطليموس فيلادلفوس تأسست موانيء جديدة على ساحل البحر الاحمر لرسو السفن وللمحافظة على سلامة الطرق البحرية إلى جزيرة سقطرة حيث انشئت عدة مستعمرات يونانية .

سكان سقطرة

في تقرير لوزارة الحربية البريطانية كتب في ١٩١٥ جاء فيه ان سكان سقطرة عشرة آلاف نسمة . وفي سنة ١٩٢٣ ذكر الكولونيل هارولد جيكب

في كتابه « ملوك العرب » ان سكان سقطرة بين عشرة آلاف و ١٢ الف نسمة . وفي تقرير عن زيارة قام بها مستر واتس ، المستشار البريطاني في حضرموت للجزيرة ونشرها في مجلة امانة ميناء عدن جاء ان سكانها ثلاثون الف نسمة . وبما انه لم يجر احصاء رسمي فلا يمكن ذكر الرقم الصحيح لعدد السكان في الوقت الحاضر . الا اننا نستطيع أن نخمن أنه اليوم يتراوح بين عشرين الفا وثلاثين الفا ...

أما القسم المهري من حضرموت فيقدر عدد سكانه بحوالي سبعين الفا .

وينحدر سكان سقطرة الحاليون من ثلاثة أجناس (١) السقطريون الاصليون المعروفون بالبدو (٢) العرب النازحون اليها من شرق حضرموت ومن افريقيا الشرقية (٣) الافريقيون .

ويدعي السقطريون الاصليون أنهم من نسل الحميريين . وقد يكونون فرعا من عرب جنوب الجزيرة العربية القدماء كالحبشت — المهرى — والحضارمة والاوسانيين والحميريين الذين كانت ممالكهم منتشرة على طول ساحل جنوب الجزيرة العربية من عمان حتى البحر الاحمر . وربما يجد الباحث البرهان على أنهم من نسل عرب الجنوب القدماء من النقوش والكتابات ورسوم الوعل والاغنام والكف والقدم والسمك التي كانت طابعا دينيا لدى عرب الجنوب . والسقطريون الاصليون المعروفون بالبدو هم الغالبية العظمى بين سكان سقطرة ويعملون رعاة ومزارعين . وهم ليسو بدوا رحلا كالبدو الرحل في جنوب الجزيرة العربية الا أنهم عندما تجدب الأرض يرحلون إلى مناطق الماء والكلأ في حدود لا يتعدونها ويكون رحيلهم مؤقتا يعودون بعده إلى مناطقهم الاصلية التي استقروا فيها وتوارثوا حقوق استغلال الأرض وخاصة في جبال حجير وهضابها المغطاة بالعشب والأشجار والاحراش وأيضا في الضواحي الجنوبية من الجزيرة . ولقد أجمع الرحالة والعلماء الباحثون على أن هؤلاء السقطريين الاصليين هم سكان كهوف . وليس هذا هو الواقع اذ هم يمتلكون أكواخا ومنازل في الاودية السفلى الا أنهم يضطرون إلى

الهجرة المؤقتة إلى الاعالي بحثا عن الماء والكلأ كما ذكرنا ، وعندئذ يكون من الصعب عليهم أن يعيشوا أشهرا مع أسرهم وأطفالهم في الخلا .

وتكثر في الجبال والتلال الجيرية المرتفعة كهوف من احجام مختلفة يلجأ اليها الناس ويشيدون في بعض الكهوف الواسعة جدرانا تكون بمثابة الفواصل بين مسكن وآخر يحتمون خلفها من تقلبات الطقس . وبعد ان تنتهي مهمتهم في هذه النواحي يعودون إلى مساكنهم الاصلية في اسفل الاودية وسفوح الجبال .

قبائل سقطرة

(دكيشين) — طويل القامة متناسق الاعضاء رقيق الشفتين بارز الفكين عريض الكتفين نحيف الخصر بدين الساقين املس الشعر اسنان بعضهم نائتة ، جميل الوجه عموماً . ويدعي بعض الاوروبيين الذين قاموا بابحاث علمية في الجزيرة ان مظهر افراد هذه القبيلة اكثر شبها بالاوروبيين نتيجة للتزاوج مع البرتغاليين . ولكن القبيلة تؤكد انها تنتمي إلى القبائل العربية التي كانت تعيش في جنوب الجزيرة العربية .

(مومي) — ويكثر سكناهم في الناحية الشرقية من الجزيرة . وقد تسمى رأس مومي باسمهم ، وهم اكثر حمرة من غيرهم من سكان سقطرة من القبائل .

(قعربي) — وتعتبر من القبائل الجريئة ، وهي الوحيدة بين القبائل التي يتسلح افرادها بالسكاكين والعصي ، ويسكنون منطقة قعرة .

(مالكي) — ويدعون انهم اصلا من قبائل يافع بني مالك التي تعيش في جنوب الجزيرة العربية بالقرب من عدن . ويسكن بنو مالك السقطريون في منطقة قيدعة .

(قمر) — وهم خليط من السقطريين والمهرى العرب ويسكنون سلسلة جبال حجير المطلة على العاصمة حديبو

قرى سقطرة

عاصمة سقطرة هي حديبو التي تسمى ايضا تماريدا نسبة إلى وفرة التمر في الجزيرة ويبلغ عدد سكانها حوالي الفي نسمة . وتأتي بعدها قضوب التي تشمل موري وكدحة ويقدر عدد سكانها بحوالي الف نسمة . اما قلنسية فتقع في اقصى الغرب ويقدر عدد سكانها بحوالي ست مئة نسمة . ويلاحظ بصفة عامة ان اغلبية سكان الجزيرة لا يتركزون في المناطق الساحلية بل في المناطق الداخلية حيث يشتغل معظم السكان في الرعي والزراعة . ومن اهم القرى الرئيسية الواقعة شرق حديبو هي : غريرهن ، دبني ، دحمرى ، ويقدر عدد السكان بحوالي ثلاث مئة نسمة .

والقرى الرئيسية الواقعة غرب حديبو هي : دحمص ، قشرو ، صعالة ، ويقدر عدد سكانها بحوالي ست مئة نسمة . والغبة ، سلمهو ، قدامة ، ويقدر عدد سكانها بحوالي خمس مئة نسمة .

واغلب هذه القرى الواقعة شرق وغرب حديبو مبنية من الحجارة . اما قرى الساحل الجنوبي فاكثرها اكواخ مبنية من جذوع الاشجار . واهم هذه القرى :

منطقة نوهجد : وتتألف من : محفرهن ، زاحق ، حيف ، حندق ، عربهو قفرة .

ويتركز اغلب سكان الجزيرة في المنطقة الوسطى او الجبلية حيث توجد مراعي خصبة واكثرهم من محترفي الزراعة والرعي . واهم قراهم ومطارحهم : راس مومي ، طيدع ، حالة ، شيزب ، تنتن ، شعب ، اجليسو سراهن ، اجليسو سرية ، اجليسو كليم ، اجليسوا دفشة ، هجير طيدعة ، ريد ،ماية ، معلى ، واغلب هذه المناطق جبال ترتفع عن سطح البحر بحوالي خمسة آلاف قدم كما هو الحال في منطقة حجير .

وتقدر نسبة الامية بحوالي ٩٩٪ بالنسبة للذكور . اما المرأة فأمية تماماً .

وتوجد في الجزيرة مدرسة ابتدائية في حديبو واخرى في قلنسية كما توجد بعض الكتاتيب (المعلامات) التي تقوم بتعليم القرآن ومبادىء الديانة الاسلامية .

اما بالنسبة للزواج فهو يتم غالباً في الخامسةعشرة او السابعة عشرة ويحدد المهر بحوالي مئة شلن (٥ دنانير) اما الدفع فيختلف حسب حالة الزوج الاجتماعية . ويتراوح بين ٥ دنانير و ١٥٠ ديناراً .. هذا بالنسبة للمناطق الساحلية . اما في المناطق الجبلية فاغلب الدفع يتم بطريقة عينية كالماشية والاغنام والبقر . وتقام الحفلات التقليدية للزواج التي تتخللها الرقصات الشعبية الخاصة بالنساء وهي كما يسمونها في الجزيرة « غاية » ، « صامهر » ، « تقودهن » والاخيرة رقصة مشتركة بين النساء والرجال . اما الرقصات الرجالية فيطلقون عليها « المولد » ، « الزامل » ، « المزمار » « الداندان » وهي رقصات بدوية . واغلب نساء المناطق الجبلية سافرات يساعدن رجالهن في الاعمال الزراعية البسيطة وفي رعي الماشية .

وتوجد في الجزيرة عادة غريبة وهي ان عملية الختان لا تتم مباشرة بعد الولادة كما هي العادة بل تتأخر حتى يبلغ الرجل السابعة او العاشرة من العمر ، او قبيل الزواج حيث تتم بطريقة بشعة مؤلمة يشترط فيها ان لا يظهر المختون اي الم ، لأن ابداء اي شعور بالألم عار يعاب عليه الرجل وقد يقف حائلا دون زواجه . وتسري نفس هذه العادة في بعض النواحي في القسم العربي من البحر الاحمر وفي حضرموت ومسقط وعمان حيث تجري عملية الختان والرجل واقف على قدميه مرفوع الرأس منتصب القامة يكبت الالم بالقاء القصائد الشعرية الحماسية المحلية محركا يديه بقوة تعبيراً عن شجاعته وقوة احتماله .[1]

الصناعات المحلية في سقطرة

يعمل الرجل السقطري في رعي الماشية وفي الزراعة وفي اعمال بسيطة اخرى .

---

(١) راجع كتاب تاريخ اليمن الجنوبية للمؤلف .

اما المرأة فالى جانب عنايتها بالاطفال وبالمنزل وحلب البقر والغنم واستخراج السمن والزبدة من اللبن ، تقوم اما بنفسها او بالاشتراك مع الرجل في الاعمال التالية :

- استخراج الصوف من الحيوانات الاليفة وتنقيته من الاتربة والطفيليات بضربه بقوس مشدود من طرفيه بوتر . ثم يغزل بواسطة مغزل يدوي حتى يستوى خيوطاً رفيعة خشنة تستعمل في نسج الابسطة المعروفة عندهم بالحنبل (الجمع حنابل) التي تعتبر من اجود الابسطة. وتصدر إلى عدن والمكلا .
- استخراج خيوط سعف النخل وفتلها حبالا ، او يصنعون من تلك الخيوط سلالا وزنابيل واكياساً وحصيراً وغيرها .
- دباغة جلد الماعز وغمسه في محلول خاص ودلكه حتى يكون جاهزاً للاستعمال قربة للماء واللبن والسمن .
- صناعة اشباك لصيد السمك وفخاخا للحيوانات .
- استخراج السمن والزبدة من اللبن .
- صناعة الاوعية من الطين المحروق لاستعمالها في خزن المواد الغذائية وللطباخة والبيع اما عملية نقل هذه المصنوعات إلى مراكز الاسواق فيقوم بها الرجال وحدهم او ينتظرون قدوم السماسرة والتجار المتجولين في القرى لشراء منتوجاتها . وفي اغلب الاحيان يبيع القروي هذه المواد بالمقايضة فيستلم بدل النقود موادا غذائية كالتمر والارز والدقيق واقمشة ولوازم اخرى .

الحالة الصحية في سقطرة

من خلال تقرير طبي يتضح مدى الاهمال الذي قاسته سقطرة قبل واثناء المئة واثنتين وثلاثين سنة من الاستعمار البريطاني . فقد جاء في التقرير ان الغالبية

العظمى من الاهالي يعانون من نقص التغذية ، وهم لذلك في صحة سيئة عموماً . ويمكن القول ان اربعين في المئة من السكان يصابون بالملاريا المنتشرة نتيجة وجود المستنقعات وبالسل والربو والتراخوما والشلل . ويبلغ متوسط الاعمار ٣٥ سنة ، ويموت اكثر من نصف الاطفال نتيجة للملاريا او عسر الولادة . ويضع السكان ، وخاصة الاطفال ، اقنعة على انوفهم وافواههم للوقاية ضد نوع من الذباب يطلقون عليه اسم « ذى عاصر » يهاجم الفم والانف حيث يضع بيضه الذي يفقس مولدا الجراثيم التي تزحف داخل الحنجرة او الانف مسببة الموت في كثير من الحالات .. والعناية الوحيدة التي يتلقاها الاهالي هي من (الاطباء) المحليين البدائيين الذين لا يستعملون اي طريقة في معالجة كافة انواع الامراض غير الكي بالنار .. ومما يؤسف له ان الرجال والنساء مشوهون في كثير من انحاء اجسامهم نتيجة استعمال الحديد المحمّى. وتوجد في حديبو وحدة صحية يشرف على اعمالها مساعد طبي تدرب في المكلا الا ان هذه الوحدة تفتقر إلى ثقة وتعاون الاهالي الذين يتوقعون شفاء سريعاً من الادوية المعطاة لهم وإلا اتجهوا نحو الكي بالنار .

من هم المهرى

قد يتساءل القارىء : من هم المهرى سكان سقطرة والبلاد الواقعة في شرق حضرموت . والاجابة هي كما يلي :

تكتب لفظة « مهرى » بالالف المقصورة وبالألف الطويلة وبالتاء المربوطة . وقد عرف ان اجداد المهرى كانوا يسمون « حبشت » . والواقع ان الكلمة « حبشت » مهرية الاصل تعني « حاصد » او الشخص الذي يجمع حصاد اشجار اللبان ودم الاخوين والصبر والمر والنباتات العطرية . ومما يذكر ان قبائل من حضرموت قامت بغزو قبائل « حبشت » في سواحل بلاد المهرى في حضرموت فهاجر بعضها إلى بلاد كوش واسست فيها مملكة وشيدت عاصمة اطلقت عليها اسم « اكسوم » وعرفت بمملكة اكسوم ومملكة حبشت ،ونقلت

معها لغة وخط جنوب الجزيرة العربية وهو الخط الذي لا يزال سكان الحبشة يستعملونه حتى يومنا هذا مع بعض التعديلات بالرغم من ان هذا الخط قد انقرض من جنوب الجزيرة العربية بعد ان اكتسحته لغة شمال الجزيرة العربية – لغة القرآن – . وعند مقارنة الحروف الحبشية مع حروف جنوب الجزيرة العربية القديمة المعروفة بالحميرية يمكننا ان نلاحظ الشبه الكبير بينهما . كما اتضح ايضاً بعد اكتشاف اللغة الحميرية التقارب الكبير بين كثير من كلماتها وكلمات اللغة الحبشية . وهنا لا بد وان نذكر ان بلاد الحبشة – الافريقية – تسمى ايضاً اثيوبيا .. وهذان الاسمان « حبشت » و « اثيوبيا » مشتقان من كلمتين عربيتين قديمتين هما « حبشت » وتعني « حاصد » و « اطيوب » وتعني « طيب ، وجمعها اطيوب » وأطياب « بخور » .

وفي ايام زيارة مؤلف كتاب « الطواف حول البحر الاحمر » كان موطنهم الاصلي في المهرى كمنتجين وجامعين لحصاد الطيب والبخور . ويذكر هذا المؤلف الملاح ان هذا الشعب المهرى وكذلك اهل بلاد « بنت » هجروا مواطنهم الاصلية في بلاد المهرى وسقطرة والصومال ورحلوا غرباً واستوطنوا جبال التيجرة حيث اسسوا لهم سلطة مستمرة . ولم يكن سبب هجرتهم التجارة بل الحرب والضغط والارهاب . وفي القرن الثالث الميلادي كان الـ « حبشت » في قمة مجدهم في مواطنهم وقد عملوا سوياً مع جيرانهم واقاربهم السبأيين في تجارة التوابل والاطياب مع مصر التي كانت في قمة مجدها حينذاك تحت سيطرة البطالسة .

وكان الـ « حبشت » يسيطرون على سقطرة ورأس التوابل (جاردفوى) وعلى كثير من السواحل في شرق افريقيا ، بينما كان بنو حمير وسبأ وحضرموت وقتبان واوسان وحبشت في الغرب والشرق وفيما عدا ذلك من البلاد تحت نفوذ الدولة الفارسية . وبعد مجيء الساسانيين الفرس إلى الحكم تدفقت موجاتهم غازية شرق الجزيرة العربية . وفي حوالي نفس العصر تدفقت جيوش البطالسة إلى افريقيا ووصلت حتى موسيلون (بربرة) في ساحل الصومال وتأثرت

اراضي البخور في جنوب الجزيرة العربية وبلاد الصومال . ثم قامت مملكة حضرموت بغزو مملكة قتبان وبدأت دولة حمير تهدد بالسيطرة على دولة سبأ .. وقد وجدت لوحة اثرية عثر عليها غلازر فسرها بان جاردوت ملك اا «حبشت» تحالف مع ثلاثة من ملوك سبأ للدفاع ضد تهديد مملكة حضرموت ومملكة حمير .. وكان ذلك في حوالي سنة ٧٥ ميلادية .

ويذكر الملاح اليوناني انه زار بلاد « اباسيني » الواقعة في شرق حضرموت . وفي مخطوطات المصريين القدماء اسم « حبستي » (وهو تحريف لاسم حبشت) . وذكر الملاح اليوناني وكذلك ستيفانوس البيزنطي بلدة في افريقيا تدعى «اسكاى» . وهذا الاسم تحريف لاسم بلدة « حاسك » المهرية . وقد امتدحكم المهري فشمل القسم المهرى الحالي من حضرموت وجزيرة سقطرة وتوابعها وظفار وجزر كوريا موريا وجزيرة مصيرة والسواحل العمانية المواجهة لهذه الجزيرة .

وذكر الهمداني قبائل المهرى مراراً ، فقال : انها كانت لقوم عاد وسكنها بعدهم مهرى من اوس او من قضاعة وانهم كالوحوش في تلك الرمال . وهم يتبعون مذهب الاباضية . واول من نزل الشحر من القحطانيين مالك بن حمير بعد ان ثار على اخيه الذي كان يحكم قصر غمدان في صنعاء ، ولما مات تولى ابنه قضاعة ابن مالك الذي انحصر ملكه في بلاد مهرى . وملك بعده ابنه الحاف ثم ابنه مالك . وملك مهرى ابن حيدان بلاد قضاعة فحاربه عمه مالك ابن الحاف صاحب عمان . واشار الهمداني إلى بطليموس وديو سكورايدس اليوناني في وصف الاول لجغرافية البلاد العربية ، وفي كتابه الثاني عن حشائشها ، فقد قال ان الاول ذكر المهرى باصحاب البراري وانهم واهل بلاد قونيقي (اليمن) وبلاد تدمر يشاكلون الاسد والشمس ولذلك صاروا سليمي الصدور رحماء القلوب محبين لعلم النجوم يعظمون الشمس خاصة بين جميع النجوم ويسجدون لها » .

كما اشتهرت بلاد المهري بالعنبر ، وهنا يقول الهمداني « واليمن يجمع الورد وكثيراً من الافاويه ولا يعدم بها اكثر الحشائش مع نفيس الجواهر والمعدم من

الارض الا بساحلها فيما يقارب وزن المثقال ويزيد عليها . وبها مرامي العنبر على سيوفها » .

وفي ذكره لمعرفة اطوال مدن العرب المشهورة وعرضها قال الهمداني : « ان طول مدينة الاسعاء المهرية من المشرق ١١٢ درجة وعرضها ١٦ درجة ونصف وثلث العشر » .

وذكر مواضع من البلاد المهرية تبدأ بكلمة « غب » وهي تطلق هنا على البحر العميق ، ومن هذه المواضع غب الحيس وغب الغيث وغب العقار » .

وفي بعض المصادر الاوروبية ان قبائل المهرى هي بالتأكيد اقدم جنس عربي اجبر على الخروج من ارضه الخصيبة في الجنوب من قبل اجناس سامية وان له عادات غريبة خرافية كتلك التي تكون لشعب لاجيء لا يحس بالاستقرار ويتوقع المفاجآت . ولهذا نجد الاهالي يتميزون بالحياء من الغرباء والانحصار في مجتمعهم الخاص بهم .

اللغة المهرية

يتكلم المهري في سقطرة وشرق حضرموت وظفار وساحل عمان حتى جزائر كوريا موريا اللغة المهرية التي تختلف عن اللغة العربية الشمالية . ويعتقد المهرى انها اللغة العربية الجنوبية القديمة المعروفة بالحميرية التي ظلوا محتفظين بها بالرغم من انقراضها في جنوب الجزيرة العربية . وقد قامت بعثة نمساوية برئاسة الدكتور دافيد مولر بابحاث علمية هامة في جنوب الجزيرة العربية وسقطرة ونشرت تقريرها المجلة الجغرافية في عددها الثالث عشر لشهري يناير — يونيو ١٨٩٩ . وجاء في التقرير عن اللغة المهرية انها اللغة السائدة في القسم الاوسط من ساحل جنوب الجزيرة العربية بين المكلا وجزر كوريا موريا والتي كانت فيما مضى معروفة بصورة مشوهة في اوروبا . وقد قام بهذا البحث الدكتور مولر والدكتور الفرد زهن اللذان تمكنا من الحصول على عديد من

النسيب الاصيل والقصائد الطويلة من افواه الناس انفسهم . وجمع زهن قائمة طويلة بالمفردات بينما تمكن مولر من ترجمة حكايات طويلة إلى المهرية .

وجاء في التقرير ان سكان جبال سقطرة يتكلمون اللغة السقطرية النقية الاصيلة . وكانت عملياً غير معروفة في اوروبا ، واستطاع مولر الحصول على نسخ نصوص اصيلة كثيرة مع الترجمات وجمع حوالي سبعين قصيدة قصيرة في الحماسة . وكلتا اللغتين السقطرية والمهرية تقدمان اهمية كبيرة من وجهة نظر جغرافية الثقافة ، وعلينا هنا أن لا نعالج اللهجات العربية بصورة ضيقة بل علينا ان نعالج اصطلاحات هي في الواقع فروع للغة سبأ ومعين القديمة وتقدم لطالب فلسفة اللغات بعض الظواهر الشديدة الغرابة ، لانها تشكل مركز الطليعة في اقصى الجنوب لمجموعة اللغات السامية . وبينما تقدم اجابات لسلسلة من التساؤلات تقدم من ناحية اخرى الغازا واحاجي للباحث العلمي . انها ذات نسب واحد مع كلمات النقوش الاثرية كما هو الحال بين اللغة القبطية والنقوش الهيروغليفية . ومسألة العلاقات بين المهرية والسقطرية هي في وقتنا الحاضر علاقات وثيقة مع ساحل بلاد المهرى كما كانت العلاقات وطيدة ايضاً في العصور الموغلة في القدم .. وثمة براهين على ان السقطرية بدون شك مشتقة من بلاد المهرى ، لكن الفروق بينها وبين المهرية هي في الوقت الحاضر ذات اهمية . فالمواطنون في منطقة لا يفهمون لغة المواطنين في منطقة اخرى .. وثمة براهين على ان السقطرية اكثر اصالة من ناحية المفردات والقواعد ، اما لغة الساحل القديمة فقد تعدلت بدخول كلمات عربية وبتأثيرات اخرى ، وقد حرّفت بعض الاصطلاحات القديمة بينما بقيت اللغة السقطرية في الجبال نقية بدون تحريف او مؤثرات خارجية .

قبائل المهرى في حضر موت

اقوى واكبر مجموعة قبلية في بلاد المهرى هي آل عفرار التي تضم بيت كلشات وبيت صمودة وبيت ثوار وتتصل هذه المجموعة بقبائل بيت زياد

وبيت محامد وبيت عقيد وبيت عرشي ، ويكوّنون الشراوح التي تشكل مع بيت زعبنات وبيت حراويز مجموعة بيت لطّة . وثمت قبيلتان اخريان هما بيت جدّة وبيت قشن .

بيت كلشات – اقوى قبيلة في بلاد المهرى يسكن افرادها في غيضة والقرى الجنوبية حتى حسوين وصقر إلى الغرب من راس فرتك ويعتمدون في زراعتهم على مياه الآبار الا ان اكثر اشتغالهم في الاعمال التجارية وخاصة السمك ومستخرجاته .

بيت صمودة – قبيلة بدوية اشتهر افرادها بالمهارة والجرأة والحيلة في القتال ويعتمدون في رعي ماشيتهم على وادي المهرات حيث يملكون بعض النخيل وايضاً على روافد وادي عرقة حتى شمال سنا . وينقسم هذا البيت إلى : بيت فنزوخ وبيت عمر جيد وبيت عزب .. وينقسم بيت عمر جيد إلى بيت سعيد وبيت شقول .

بيت ثوار – لهذه القبيلة صلة قرابة مع بيت صمودة وبيت كلشات ، وتسكن في سلطنة مسقط وعمان إلى الشرق من آل كثير ، لكنهم لا يعترفون – او مضت عليهم فترات لم يكونوا يعترفون بسلطة السلطنة عليهم – فقد حاولوا الانضمام إلى المملكة العربية السعودية في سنة ١٩٥٤ الا ان محاولتهم لم تنجح . وهم يملكون نخيلاً في وادي المهرات لكنهم نادراً ما يرعون ماشيتهم في بلاد المهرى .

بيت زعبنات – قبيلة بدوية ترعى مواشيها إلى الغرب من حبروت التي يدعون ملكيتها لهم

بيت حراويز – تنقسم إلى قسم بدوي صحراوي مترحل وقسم مستقر حوالي قشن ويضم جماعة من كبار تجار البلاد . والقسم

البدوي لا يملك مناطق خاصة لرعي الماشية بل يعتمد افراده في ذلك على مناطق القبائل الاخرى ويرحلون مسافات طويلة بعيدة ويصلون حتى مناطق الصيعر في حضرموت والى الشرق إلى مناطق قبيلة بيت حراسيس وجامبا . ويدعي بيت حراويز انهم وقبائل الحموم الحضرمية من اصل واحد .

بيت زياد — قبيلة كبيرة وقوية تسيطر على سيحوت والمناطق السفلى من وادي مسيلة لكن افرادها انعزاليون قليلو الاتصال بالعالم الخارجي ، لذلك نجد قلة قليلة منهم يتكلمون اللغة العربية لانهم يتكلمون اللغة المهرية بعكس قبائل المهرى الاخرى التي تتكلم اللغتين . ويعتمد اغلب افراد القبيلة على نخيلهم وعلى ما يحصلون عليه من اتاوات من القبائل التي تعتمد عليها في مساعدتها .

بيت بن رعفيت — تنقسم إلى قسم بدوي مترحل يشترك مع قبيلة بيت زعبنات وبيت محمد في رعي الماشية بين حبروت والبحر . والقسم الآخر الاكبر مستقر على الساحل إلى الشمال من غيضة ويعمل افراده في صيد السمك .

بيت كيدح — قبيلة تسكن في منطقة قشن

بيت جردة — قسم منها مستقر في ناحية قشن ، وكانت القبيلة الوحيدة التي ساعدت السلطان خليفة في ثورته ضد سلطان المهرى .

بيت قمصيت — قبيلة بدوية ترعى ماشيتها في المنطقة الواقعة شمالي وادي مسيلة تجاه سموح وثيعن . ويعمل افرادها في نقل البضائع من سيحوت إلى وادي حضرموت حيث يبيعون بعض مواشيهم .

بيت بلحاف — مشائخ شمال بلاد المهرى وشرقها حتى نزوة عاصمة القسم

الداخلي من عمان إلى الشمال من ام الصميم ، وفيهم عدد صغير من البدو الرحل الذين يتنقلون حتى الغرب والشمال الغربي من منطقة بيت زعبنات وقسم منها يعمل في صيد السمك على ساحل خليج القمر ويتكلمون المهرية .

• • •

إلى الشمال من بلاد المهرى يوجد عدد قليل من قبائل يرجع اصلها إلى آل كثير وهم يتكلمون المهرية كلغة ثانية ويتزاوجون مع المهرى ، ومنها :

- آل راشد ، وهي قبيلة صحراوية ترعى ماشيتها في اي ناحية من نواحي الربع الخالي وتصل في طوافها غربا إلى نجران وجنوب غيضة وسلالة وشرق مسقط وشمال الحسا . والفخيذتان الرئيسيتان هما : بيت يماني وبيت هناو اللتان هاجرتا من ازمنة بعيدة من وادي حضرموت الا انهما قد قطعتا علاقتهما مع قبيلة الشنافر الكثيرية . ويعتبر بيت يماني اكثر عدداً ، الا أن اغلب افراده موزعون في مساحات متباعدة ، وكانوا من قبل يعترفون بسلطة سلطنة مسقط وعمان ثم انشقوا عليهم واعلنوا اعترافهم بسلطة المملكة العربية السعودية ، ثم بسلطة سلطنة المهرى . وتعيش قبيلة بنو حسن المناوية في جعلان في سلطنة مسقط وعمان ويبلغ عددها نحو عشرة آلاف نسمة . ويقيم بعضهم في الباطنة ويبلغ عددهم ٢١٠٠ نسمة .

- بيت هنا : مجموعة من القبائل هي الحبوس والحجريين والحراسيس والحرث وبني بو حسن وبني رواحة وآل بو سعيد والعوامر وبني هنا وآل وهيب ، ويعيش بعضهم بالقرب من سلالة ، ويعترف بسلطنة مسقط وعمان ، وقسم يعترف بالمملكة العربية السعودية . ويعتقد انهم اصلا من قبائل الازد القديمة ويبلغ عددهم نحو عشرين الف نسمة ، ويعيش عدد كبير منهم في لوا وفي نزوة في عمان .

- بيت خوار ، قبيلة شبه مستقرة من اصل كثيري تعيش في وحوالي وادي كدبوت حيث تملك نخيلا .

- بيت عويثان ، قبيلة صغيرة تنحدر من الشنافر في المنطقة القعيطية وقبيلة العوابثة في وادي عين وفي شحير في المنطقة القعيطية ايضاً ، ويعيش افرادها في وادي جزعا حيث يملكون نخيلا بالقرب من ماريت والمهيفيف ميناء منطقة غيضة ، ويعتمدون على بيت قلشد في كثير من الامور .

- الحراسيس ، من القبائل السنية البدوية التي تعتبر فرعاً من المناوية يبلغ عددها بين ثلاث مئة واربع مئة نسمة وترعى ماشيتها في سهل جدة الحراسيس وفي السهول الواقعة شرقي الربع الخالي إلى الشمال الشرقي من ظفار ودائرة الدروع وآل وهيبة وترحل إلى حضرموت لرعي الكلأ . ويدّعي آل كثير ان الحراسيس اصلا منهم . ولهذه القبيلة لغة خاصة بها تسمى حرسوس تتضمن كلمات من اللغتين العربية والمهرية لكنها تختلف عنها مما يدل على انها من غير اصل هاتين اللغتين وربما كما يقول برترام تومس انها والمهري من اصل عربي جنوبي قديم يعود إلى ايام معين وسبأ الا انهم يتكلمون العربية ويستخدمونها في الاتصال بالقبائل المتكلمة باللغة العربية المجاورة . وقد كانت العلاقات سيئة بين الحراسيس والمهري وكان فرعان كبيران من هذه القبيلة قد اعلنا تبعيتهما للملكة العربية السعودية الا ان سلطنة مسقط وعمان بسطت سيطرتها عليهما ، ويعيشان في نخل في سلطنة مسقط وعمان ويبلغ عددهم هنا نحو خمسة عشر الف نسمة .

ويعيش عدد من آل كثير بين القبائل المهرية وخاصة بيت صمودة وبيت حراويز في وادي المهرات وعلى الساحل بين ريدة ابن عبد الودود الكثيرية وسيحوت المهرية . ويعمل افراد هذه القبائل على الساحل في حقول الملح بين المصينعة وزمخ حساى .

ميناء قشن

العاصمة الثانية في سلطنة المهري بعد العاصمة الاولى حديبو في جزيـرة سقطرة . وفي قشن يسكن نائب السلطان . وقشن مدينة ساحلية يتكون خليجها من الرأسين البارزين الى البحر : رأش شروين ورأس الدرجة تفصلهما حوالي ثلاثة عشر ميلا .. وفي أثناء الرياح الموسمية الشرقية يحدث انتفاخ أرضي وتهب الامواج على الشاطىء باندفاع قوي مما يجعل الرسو خطرا الا في الجزء الغربي من رأس الدرجة حيث توجد محطة آمنة لانزال البضائع من السفن الصغيرة والقوارب

وساحل الخليج واطيء ورملي بالقرب من البحر وتطل عليه من بعد قريب سلسلة من الآكام العالية تتخللها كثبان الرمال المتموجة .. ويقع أحسن مكان لرسو السفن عند بندر لسك في القسم الغربي من خليج قشن حيث تحتمي السفن من الرياح الجنوبية الغربية على الماء الهادىء .

ميناء سيحوت

تقع على الساحل الحضرمي من سلطنة المهري ويتراوح عدد سكانهـا بين عشرة آلاف وخمسة عشر الفا . ويزداد العدد في موسم النشاط التجاري ، وترسو في مينائها السفن التجارية الشراعية والسفن البخارية الصغيرة . وفـي ضواحيها توجد مساكن مشيدة بالحجارة وقد بنيت كذلك للدفاع عن ساكنيها نظرا الى أن سلطنة المهري تعرضت كثيرا للغزو البرتغالي والعثماني من البحر وللغزو البري من سلطنة الكثيري المجاورة لسلطنة المهرى .

سقطرة في الاساطير

حين جاء مؤلف « الطواف حول البحر الاحمر » الى الجزيرة ذكرها في كتابه باسم (ديوسكورايدا) قائلا بأن لهذا الاسم صلة بالهند فقد كانت الجزيرة ملاذا للقراصنة الهنود وان الاسم مشتق من السنسكريتية « دفيبا شكودارا ، وتعني « موطن السعادة .

وتروي قصة أن قبائل القمر تدعي نسبتها الى طائر الاله «فشنو» الذي حفظ الأميرة سيتا وأعان حبيبها راما على اكتشاف ملجئها . وتذكر هذه القبائل أن مقرها كان في « سنكوترايت » ، أي جزيرة سنكوترا .. ويسمونها أيضا « سنكادواوا » أي صدف اللؤلؤ .

والمعروف أن الجزيرة تنتج مادة دم الاخوين . وهذه المادة كما تقول الاسطورة علاقة بالقتال الشهير ضد التنين للحصول على بقعة مقدسة . ومثل هذه القصص شائع في بلدان البحر الابيض المتوسط حيث نجد قصة ابولو في دلفي وقصة أودونيس في سوريا وغيرهما . وهي قصص كانت الاساس الذي بنيت عليه قصة القديس جورج والتنين . ومن المعتقد أن تلك القصص سامية الأصل واستعيرت من الساميين . وفي كل أسطورة يكون المقاتل انسانا أو آلها . أما في سقطرة فقد كان فيلا .

وتقول أسطورة هندية أن الثالوث الهندي الخالق براهما والحافظ فشنو والمهدّم شيفا معبدا في جزيرة في الهند يسمى معبد « الفنتا » وكانت الجزيرة على صلة وثيقة بخليج عدن . وكان الفيل يمثل براهما أو فشنو بينما يمثل التنين شيفا . وكان الدم الذي أريق في القتال المرير بين الفيل والتنين هو دم الاخوين . وكان التنين قد التف حول الفيل وأخذ يتلذذ بامتصاص دمه ولما نزفت دماء الفيل وقع وكان وقوعه على التنين فسحقه سحقاً وفاضت روحاهما معا . وكان دم الاخوين رمز الصراع بين شخصيات الثالوث الهندي المقدس .

ويذكر الرحالة ثيودور بنت أن العرب لا زالوا يطلقون اسم دم الاخوين على الشجرة المنتجة له .. والاسم كما قلنا هو ديوسكورايدا . أما ديوسكوري فقد كانا كاستور وبولكس اللذان كانا يساعدان الناس عند الشدائد ، وهما الابنان التوأمان للآله جوبيتر وزوجته ليديا ..

أما هوراس فيذكر أنهما الابنان التوأمان لليلين اللذان يساعدان السفن في الامواج الصاخبة ويرشدانها الى شواطىء الامان .

وتذكر قصة مصرية يعود تاريخها الى الاسرة الفرعونية الثانية عشرة أن الجزيرة هي جزيرة العباقرة المسماة « باعنخ » مقر ملك بلاد البخور ، وربما ان لفظة العباقرة تعني الجن أو الروح التي يقال انها موجودة في شجرة البخور المقدسة. وثمة سبب هام يدعو الى الاعتقاد بأن هذه الجزيرة هي جزيرة السعادة الواقعة في أبعد نقطة وصلها البطل المتجول في قصة الاوديسا البابلية وهي قصة البطل كلكامش التي تتعلق بقصة البحث في العالم المجهول عن روح صديق غائب وجدت بعد صلاة منذورة لآله الموت نرجال .. والقصة تسجيل مادي لأولى الهجرات حول شواطىء الجزيرة العربية .

وقد لخص هذه النظرية غلازر من كتاب هومل « تقاليد العبرانيين القديمة»

« تقدم لنا التسجيلات المصرية جزءا مهماً من الادلة المختصة بالاجناس . ففي عصر الاسرة المصرية الثانية عشرة (حوالي سنة ٢٢٠٠ ق م) يظهر جنس جديد في أفق مصر ، هو الجنس الكاشي في بلاد النوبة . وكان هذا الاسم قد أطلق أصلا على « عويلم » (وفي البابلية كاشو ، وكيشوى كما ذكرهم هيرودوتس ، وكش كما يسمون في الهند وخوزستان كما يسمون الآن . وفي الجزء الاول من كتاب الاكليل للهمداني أن عويلم هو ابن سام ابن نوح وشقيق ارفخشد وأشور ولاوذ وإرم .. أما عن الكاشيين أو الكوشيين فيقول الهمداني انهم أولاد كوش ابن حام ابن نوح) .

وكما تذكر الترجمة العبرانية ، أطلق الاسم على أجزاء مختلفة من أواسط وجنوب الجزيرة العربية . وهذا يدعو الى نقاش . فمنذ العصور القديمة السابقة للالفين الاولى قبل ميلاد المسيح لا بد وأن العويلميين استعمروا افريقيا الشمالية الشرقية بعد أن داروا حول الجزيرة العربية في طريقهم الى هناك .. وتدعم هذه النظرية الحقيقة بأن اللهجات الكوشية المزعومة لشمال شرق افريقيا مثل الجالة والصومالية والبيجا وغيرها من اللغات القريبة منها تتضمن قواعد نحوية مشابهة للألسنة المصرية والسامية القديمة المتصلة بتركيب الكلام الذي يختلف

تماما ولا يقدم أي تشابه مع تشابه اللغات السامية أو أية لغة زنجية في افريقيا . الا أنها تتشابه كثيرا وتركيب الكلام في اللغات الاورالية الالتيكية في آسيا التي اليها تنتمي اللغة العويلمية . وطبقاً لهذه النظرية فان الكوشيين الذين كثيرا ما ذكرهم هومر وهيرودوتس باسم الاثيوبيين لا بد وأنهم أصلا العويلميون الكوشيون الذين انتشروا في الجزيرة العربية وشقوا طريقهم الى افريقيا .

وجاء في الانجيل أن النمرود هو ابن كوش .. ويقول الهمداني أن النمرود هو الابن الأكبر لكوش وهو أول ملك ملك بعد الطوفان وان الحبشة هم أولاد كوش .

أما اسم كلكامش فله نهاية عويلمية . وقصة النمرود البطولية وتجولاتـه حوالي الجزيرة العربية لا بد وأنها الناحية الاسطورية للهجرة التاريخية للكوشيين من بلاد عويلم الى شرق افريقيا وان النمرود ليس الا تشخيصا لعنصر الجنس العويلمي الذي لا زالت بقاياه موجودة في بلاد العرب وبلاد النوبة .

ويصف كتاب هومل مراجع قصة البطولة التي بشكلها الحالي تعود الى سنة ٢٠٠٠ ق م .

في المطلع التاسع تذكر لنا القصيدة كيف أن كلكامش غادر بلاد «ماشو» في وسط الجزيرة العربية التي كان يحرس بابها عقارب آدميون اسطوريون . وكان على البطل أن يشق طريقاً طولها اثناعشر ميلا خلال ظلمة حالكة ثم يصل الى فضاء مغلق بواسطة ساحل البحر حيث عاشت الآلهة العذراء «سبيتو» التي تقول له ان أحدا منذ الأزل لم يستطع أن يعبر البحر سوى البطل «شاماش» : « ان العبور صعب والطريق خطرة وان بحار الموت مغلقة ، مداخلها مسدودة ، فكيف تستطيع ياكلكامش أن تعبر البحر » .

لكن كلكامش يذهب باحثا عن « إرد إي » الملاح الذي كان يقطع شجر الارز ويطلب منه أن يعبر به البحر الى جزيرة السعادة .. وبعد أن يقطع الملاح مئة وعشرين شجرة يصعدان الى ظهر السفينة التي تتقاذفها الامواج لكنها تقطع

رحلة تستغرق عادة خمسة وأربعين يوما في ثلاثة أيام وتصل الى بحار الموت - ربما تشير الى باب المندب - ثم الى جزيرة السعادة حيث كان يعيش « شاماش نبشتم » الجد الاكبر لكلكامش . »

أما جزيرة باعنخ التي ذكرتها القصة المصرية فربما أنها أرض البخور باعنخايا التي ذكرها فرجيل .. والقصة نفسها تشير الى أن سقطرة كانت مركزا تجاريا عالميا هاما ليس بعيدا عن عصر نبي الله ابراهيم عليه السلام .. وفي الجزيرة تقابلت أساطيل مصر والعرب وافريقيا والهند .

وهذا الاسم « باعنخ » يربطه غلازر مع أسماء أخرى مثل « بانو » و« بوني » و « بنت » وأيضا « اوبوني » وفينيشي » (فينيقي) وهو الشعب الذي ارتبط ذكره بطائره المقدس « فينيكس » - العنقاء - كما نسميه .

ويروي المؤرخ بلايني القصة الطريفة التالية :

« العنقاء طائر بلاد العرب الشهير الذي يبلغ حجمه حجم النسر . لـه ريش ذهبي ناصع حول عنقه بينما لبقية جسمه لون قرمزي فيما عدا الذيل الأزرق اللون الذي يتخلله ريش وردي اللون ، وعنقه مزين بعفرة ، أما رأسه فله تاج من الريش . وهذا الطائر مقدس لدى الشمس .. وحين يكبر في السن يبني عشا من القرفة وحبات البخور يملأه بالعطور ثم يمدد جسمه ليموت فيه .. ومن عظمه ونخاعه تتولد دودة صغيرة الحجم تتحول الى طائر صغير يكون أول عمل له القيام بدفن سلفه ثم يحمل عشه بأكمله الى مدينة الشمس بالقرب مـن باعنخايا ، وهناك يضعه على المذبح المقدس .. ومع دورات السنة العظيمة بحياة هذا الطائر تظهر دودة جديدة مرة بعد أخرى لتعيد نفس المنوال كما فعل الطائر الاول في الفصول وعند ظهور النجوم » .

وجاء في سفر ايوب « ... ثم سأموت في عشي وأضاعف عدد أيامي كما فعل خور »

وقال غلازر ان اسطورة هذا الطائر مرتبطة بالآله المصري خور الذي لـــه وجه صقر .

وهنا يجدر أن نذكر قصة غريبة عن العنقاء يرويها بعض المهرى :

تزوج مهري من أهالي جزيرة سقطرة فتاة مهرية من أهالي قشن ثم عاد الى سقطرة تاركاً زوجته وحيدة تندب حظها في قشن .. وطال غياب الزوج سبع سنوات كانت الزوجة أثناءها تزداد شوقا الى الالتقاء به لكن دون جدوى .. وقد جرت العادة في قشن أن تخرج النساء في ليالي العشرة الايام الاولى من شهر محرم الى الشاطىء حيث يستحممن ويرقصن بعيدا عن الاعين ثم يعدن الى منازلهن .. وفي احدى تلك الليالي روت الزوجة متاعبها لاحدى زميلاتها فنصحتها بأن تبقى في الليلة القادمة على الشاطىء بعد أن تعود النساء الى منازلهن .. وقالت لها بأن طائر العنقاء سوف يأتي وينتظر منها أن تصعد على ظهره وأن عليها أن تفعل ذلك .. وبقيت الزوجة على الشاطىء في الليلة التالية ، وأقبل طائر العنقاء الضخم وصعدت على ظهره فطار بها في أعالي الجو ، وفي لحظات وجدت نفسها في سقطرة والتقت بزوجها وقضت معه الوقت وأخبرته عن الطائر الذي نقلها الى سقطرة .. وبعد ذلك عادت الى الشاطىء مع زوجها وكان الطائر في انتظارها .. ولما أرادت أن تمتطي ظهره أمرها أن تستحم أولا .. وقبل أن تغادر زوجهـــا قالت له بأنها قد تحمل منه ولذلك تطلب منه دليلا تقدمه لأهل بلدتها فقدم لها خاتمه وخنجره وورقة سجل فيها تاريخ تلك الليلة من شهر محرم .. وبعد أربعة أشهر شعرت بالحمل وقدمت الخاتم والخنجر والورقة لأهلها فاقتنعوا بطهارتها ، وبذلك أخرست ألسنة السوء .

طبيعة سقطرة

في الناحية الجنوبية من الجزيرة يمتد الساحل في خط مستقيم لكنه في الناحية الشمالية والغربية متكسر يكوّن سلسلة من الخلجان الصغيرة غير المأمونة لرسو السفن في كل فصول السنة .. ونجد في الناحية الجنوبية سهول نوهجد يمتد أحدها

على طول الجزيرة تقريباً تغطيه لاميال عديدة كثبان الرمال المتنقلة . ورغم أن الناحية الجنوبية أقل خصوبة من الناحية الشمالية الا أنها منتجة خاصة عند الطرف الشرقي نحو راس مومي . وتتميز الناحية الغربية بكونها قاحلة شبيهة بالجزء الغربي من شبه الجزيرة العربية .

أما المنطقة الداخلية للجزيرة فصعيد يبلغ ارتفاعه من ٧٠٠ الى ١٩٠٠ قدم له قمم خشنة وعرة تعلوا حوالي خمسة آلاف قدم عن سطح البحر وتتخلل الصعيد أودية واسعة خصيبة تهبط تدريجيا نحو الساحل . وتقطع الصعيد عن البحر سهول يبلغ عرضها من ميلين الى أربعة تكسوها النخيل والاشجار .. وفي وسط الجزيرة نجد كثيرا من جداول الماء المستمرة الجريان طوال السنة ، الا أن قليلا منها يصل الى الساحل . أما الأنهر الموجودة في الناحية الشمالية من الجزيرة فيمتلىء قاعها بالماء في الجزء الاخير من فصل الرياح الموسمية الجنوبية الغربية ، ويكون الماء غزيرا سريع الجريان .

والجو في سقطرة بارد ومعتدل وتبلغ درجة الحرارة في العاصمة الى ٧٠ درجة فرنهيت في يناير و ٨٦ درجة فرنهيت في يونيو .. وللجزيرة موسما رطوبة ، الاول من شهر يونيو الى شهر أغسطس والثاني من شهر نوفمبر الى الى شهر يناير . ويعتبر شهرا فبراير ومايو من أبدع الاشهر على الساحل .

ويتأثر الطقس بحالة الرياح الموسمية ويكون في ابريل شديد الحرارة في السهول ويتراوح بين ٧٨ و ٨٨ درجة فرنهيت عند مستوى البحر . وفي الاجزاء العالية تكون الليالي وساعات الصباح المبكرة باردة ، يتكاثف الندى وينتشر الضباب بعد مغيب الشمس وتمطر السماء بدون غزارة لأن أعالي الجبال تحتفظ بالرطوبة والنداوة التي يحملها الهواء في أي اتجاه .. والحرارة هنا تتراوح بين ٥٢ و ٧٢ درجة فرنهيت . وفي فصل الصيف تبلغ درجة الحرارة ٩٥ درجة فرنهيت . وفي ساعات النهار تشتد الحرارة اذ تمتص سطوح الصخور حرارة الشمس وتنفثها بشدة .

الحيوانات والنباتات في سقطرة

يعتقد علماء طبقات الأرض أن سقطرة كانت ملجأ للحيوانات والنباتات التي استطاعت البقاء والعيش منذ أقدم عصور التاريخ حين كانت أنظمةالارض والماء مختلفة عن العصور التي تلت .. وتوضح لنا الجزيرة العلاقات والاواصر ليس مع آسيا وأواسط أفريقيا فحسب بل أيضا مع جزيرة مدغشقر وجنوب أفريقيا وأميركا والجهة المقابلة للكرة الأرضية . ففي سقطرة فصائل وأنواع من النباتات مجهولة تماما في أي جزء من العالم . وأكثر النباتات وجودا في الجزيرة هي أشجار الصبر والمر واللبان ودم الاخوين .. وعلى طول الساحل توجد أشجار النخيل . أما أنواع الحيوانات الموجودة في الجزيرة وفي منطقة ظفار فلا يوجد لها مثيل في بلاد العرب وأفريقيا والجزر المجاورة باستثناء قطة الزباد الوحشية .

(الحيوانات) : يوجد نوع من البقر غريب ، فهو قزم لا يزيد ارتفاعه عن ثلاثة أقدام وليس له سنام وله غبب طويل . والبقرة اليفة تدر كمية كافية من اللبن ولا تستعمل في الحراثة ولا تذبح الا نادرا وفي المآتم . وفي الجزيرة غنم وحشي يسعى الناس لاصطياده في الجبال بواسطة أشباك يضعونها في طريقه ثم يتابعونه ويفزعونه حتى يمر على الاشباك فيقع في الفخاخ . وتوجد قطة الزباد الوحشية التي يطاردونها حتى تقع في الفخ فيقبضون عليها بكل حذر خوفا من بطشها ويستخرجون منها الزباد ثم يطلقون سراحها . والحمير وحشية سائبة يتنقل السقطريون في الجبال والوهاد بحثا عنها لترويضها ، ويقال انها كانت اليفة حتى أهملت وتركت سائبة بعد استعمال الجمال في أعمال النقل .. أمـــا الخيل والكلاب فلا وجود لها في الجزيرة .

وفي تقرير للبعثة العلمية البريطانية التي ذهبت الى سقطرة في الاشهر مارس– يونيو ١٩٦٧ جاء أن عدد البقر ١٨٠٠ منها حوالي ١٥٠ في جبال حجير و١٩٠٠٠ من الماعز و ٢٦٠٠٠ من الكباش . الا أن الطبيب البيطري الدكتور صادق علي

عضو البعثة الاستطلاعية لحكومة عدن ذكر في تقرير له في ١٩ ديسمبر ١٩٦٧ أن عدد البقر يتراوح بين ٤٠٠٠ و ٥٠٠٠ والغنم والكباش بين ثمانين الفا ومئة الف ، وانه بنى تقديره على معلومات تلقاها من القرويين .. فكل قرية أو منطقة سكنية يتراوح عدد الاغنام والكباش فيها بين مئتين وثلاث مئة . ويرى أن وجود الغنم في منطقة ما يتوقف على نوع الطعام الذي يوجد فيها . ففي بعض المناطق نرى أن معدل غنمة واحدة توجد في خمسة أميال مربعة ، وفي بعض المناطق خمس أو عشر أغنام في ميل مربع واحد .

وفي الجزيرة جمال تستعمل في النقل اذ لا توجد سيارات ولا عربات ولا طرق معبدة . وجمل الجزيرة قوي الاحتمال متعود على المشاق في المسالك الوعرة وهو لذلك في سلوكه أكثر شبها بالبغل منه بجمل الجزيرة العربيةوأفريقيا. وهو يشبه الجمل العادي في مظهره الا في عنقه الاكثر ضخامة . ويستطيع الجمل أن يحمل بين ٣٠٠ و ٥٠٠ رطل من الوزن على أي أرض سواء كانت وعرة أو مستوية أو رملية .. ولقد ذكر الهمداني أن بلاد المهري اشتهرت بالابل المهرية وانها ذات أنوف تشم موضع العنبر على الساحل واذا اشتم الجمل العنبر برك ولم يثر حتى يفتقده صاحبه فيجده بالقرب من العنبر فيلتقطه ، فان أبطأ عليه صاحبه لم يبرح مكانه حتى تفتر قواه من الجوى وربما نفق وذلك خيفة على العنبر .

وبمناسبة الحديث عن الابل المهرية نذكر ان قوافل الجمال المحملة بالبضائع الثمينة كانت منذ ثلاثة آلاف سنة واكثر تسافر من حضر موت وقتبان واوسان وسبأو معين وظفار إلى شمال الجزيرة العربية وسواحل البحر الابيض المتوسط. ولا تزال قبائل الطوارق الملثمة التي تسكن تونس وليبيا والجزائر والمغرب تسمى الجمل « مهرى » ربما نسبة إلى الجمل المهرى الذي كان ينقل البضائع إلى هناك ، كما ان الطوارق لا يزالون يحتفظون ببعض العادات والتقاليد الخرافية التي تشبه تقاليد وعادات المهرى .

وفيما يخص مراعي حيوانات الجزيرة قال الدكتور صادق علي في تقريره

« المراعي بمعناها الصحيح غير موجودة في سقطرة ، فان تخطيط الجزيرة الطبيعي هو ان المنطقة كلها باستثناء خط ساحلي في الجزء الجنوبي يتكون من جبال بعضها مغطى بعدد لا يحصى من الاشجار والشجيرات والاحراج والنباتات المتسلقة . ولقد اظهرت دراسة المراعي معلومات ممتعة . فان نمو الاشجار بوفرة دليل واضح على ان هطول المطر في الجزيرة وفير وان تربتها خصبة لانشاء « غابات مراعي » . اما الآن فان سبب النمو الضعيف للعشب يعود إلى ان التغدية تستهلكها الاشجار . وبالرغم من أن الحيوانات تأكل منها الا أنها ليست ذات فائدةتذكر لأن الأشجار اما أنها عالية بعيدة عن متناول الحيوانات أو أن أوراقها ضئيلة لا تكفي لتقديم الغذاء الكافي لها ، ولهذا السبب تضطر الاغنام الى قطع مسافات شاسعة لانتزاع الحشائش والاعشاب والنباتات المتسلقة . ولقد شوهد خمسة وثلاثون نوعا من الاشجار في الجزيرة ، ثلاثة منها أكثر وفرة . وكما ذكرنا آنفا فان هذه الاشجار تحتل مناطق المراعي الطيبة . ولي اعتقاد جازم بان بعض اجزاء الجزيرة ان لم تكن كلها يمكن تحويلها إلى مناطق مراعي من الدرجـــة الاولى . ويمكن عمل هذا بقطع الاشجار والاحراج واعداد اماكنها لانتاج انواع الاعشاب ومثل هذا العمل قد نفذ بنجاح في انحاء كثيرة من العالم ويمكن تنفيذه في سقطرة ، وهذا يتطلب جهدا عظيما .

(التّربة) طينية رملية يغلب عليها اللون الاحمر وذلك لتوافر عنصر الحديد فيها . ويتّراوح عمق التّربة من قدم إلى قدمين . والارض صلبة تحتاج إل حراثة عميقة وقوية . وتتخلل التّربة طبقة تحتية من الرمل والحصى . واغلب هذه الارض من النوع الحمضي وتعتبر مثالية لزراعة البن .

وتزخر الجزيرة بنباتات كثيرة وغريبة منها الاحراج التي تكوّن مراع شاسعة تغطي معظم سهول الجزيرة وجبالها ، من اهمها ما يلي :

(اشجار الدبغ) — ويطلق عليها الاهالي اسم « ايذيب » وتشبه اوراقها اوراق شجرة المانجو إلى حد كبير ، وتسيل من الفروع عند كسرها مادة حمراء داكنة

شبيهة بصبغة اليود (آيدين) وهي مادة الدبغ المعروفة في صناعة الجلود ، وتستعمل في الجزيرة لمكافحة العصافير التي تهاجم محاصيل الحبوب وذلك بدهن فروع الاشجار التي تقف عليها العصافير بمادة الدبغ فتلتصق ارجلها بالمادة وتعوقها عن الطيران . وهذه العادة متبعة ايضا عند بعض مزارعي المملكة العربية السعودية لمكافحة العصافير . وتشكل الاوراق والاثمار مادة اساسية للعلف حيث تأكلها الحيوانات . والثمرة عبارة عن كرة صغيرة ذات لون اخضر تتحول إلى اللون الاحمر عند النضج . (السدر) – ويطلق عليه الاهالي اسم « حناو » وتعتبر الاوراق مادة العلف الرئيسية للحيوانات .

(متريو ، سبرة ، طهفر ، حرطوط ، كفهور ، بلجهام) – وكلها اسماء سقطرية لاشجار حرشية تتغذى على اوراقها الماشية والجمال . ولا توجد اية تحاليل كيماوية للمحتويات الغذائية لاجزاء هذه النباتات التي ترعاها الحيوانات لاثبات مدى صلاحيتها للتغذية .

(لعبف) – وهو الاسم السقطري لشجرة ذات زهور صفراء تتبع العائلة البقولية . والاوراق ثلاثية تشبه اوراق البرسيم الحجازي ترعى عليها الحيوانات .

النباتات الطبية

(١) الصبار – لا يزيد طول ساق النوع السقطري عن ست إلى ثمان بوصات . والورق قابع في خصلة كالوردة عند نهاية الساق القصيرة وهو سميك ذو بشرة غالبا ما تكون شمعية . والحافة الورقية مكسوة بالاشواك وتوجد مادة الصبر كسائل اصفر اللون يملأ بعض خلايا الاوراق دون غيرها ، وتوجد الازهار في شمراخ طويل ذو لون احمر . وفي الجزيرة حيث ينتج افخر انواع الصبر في العالم لا زالت طريقة جمعه بدائية فان الاوراق تكوم لتنزف عصيرها فوق جلد ماعز او خروف مجهز لذلك ثم تترك في الشمس لتجف ببطء ، وبعد حوالي شهر يتكون العقار السائل ويكون شبه متجمد لكثرة تركيزه فيرسله الاهالي إلى بومباي بواسطة تجار عدن او الخليج حيث يجفف في غرف دافئة على

صوان خشبية فيفقد حوالي عشر وزنه ويصبح معداً للاسواق . ولون الصبر السقطري اسمر داكن او مائل إلى السواد ان جفف على درجة حرارة عاليـــة ورائحته كالمر والزعفران ويستعمل الصبر كمادة مسهلة ويظهر مفعوله بعد حوالي ثمان او اثنتي عشر ساعة ، وهو يدخل في كثير من المركبات الجاهزة المسهلة ويستعمل ايضا كمبيد حشري خفيف حيث يلجأ مربو الطيور إلى تصبير اجنحتها وهي صغيرة لمنع الفاش (القراد) .

(ب) مرنحة — وهو الاسم السقطري لنبات طبي يفرز سائلا اصفر عند خدش ساقيه او فروعه ويستعمله الاهالي كمطهر للجروح .

(ج) حبة العين — يستخرج اللب الاصفر من ثمار هذا النبات الطبي ثم يجفف ويسحق حتى يصبح ناعما . ويستعمل الاهالي هذا المسحوق الناعم لمعالجة الرمد .

(د) عطوة — وهو الاسم السقطري لنبات طبي تستعمل اوراقه لمعالجة الجروح المزمنة .

(ه) تريمو — وهو الاسم السقطري لشجرة توجد بكثرة في الجزيرة خاصة في الجبال ساقها ذات لون زئبقي عريضة القاعدة ، زهورها جميلة ذات لون احمر جذاب وتفرز افرازات سامة ، واذا اكلت الحيوانات اوراقها ماتت . ويمكن اعتبار هذا النوع من الشجر ذا فائدة طبية .

(و) — اللبان — منذ اقدم الازمنة اشتهرت سقطرة وحضر موت وظفار وبلاد الصومال بانتاج انواع الطيب والبخور واهمها اللبان الذي كان يصدر إلى بلدان الغرب والشرق ليحرق في المعابد كجزء من الطقوس الدينية ، وفي احتفالات النصر عند قياصرة الرومان واليونان وفراعنة مصر .. ومن مصر وبابل وفينيقيا وفارس وروما واليونان والهند والصين وغيرها كان التجار يأتون لشرائه وتصديره إلى بلدانهم . وحتى اطباء تلك العصور كانوا يستعملونه لمعالجة كثير من الامراض كالحمى والبواسير والبرص والتسمم والامراض الباطنية

وغيرها . وكانت اهم مصادر اللبان جنوب الجزيرة العربية وجزيرة سقطرة وبلاد بنت (الصومال) . ويذكر المؤرخ اليوناني الاصل الصقلي المولد ديودورس الذي الف المكتبة التاريخية في اربعين جزءا ان اهل سقطرة اثروا من تصدير كميات من البخور تكفي حاجة العالم كله ، وبفضل هذا الثراء شيدوا معابد في غاية الروعة .

وتكثر اشجـــار اللبان بنوعيها الذكر والانثى في منطقة فاحر ويسمى اللبان الذكر في السقطرية « امعيلو » ، والانثى « زمعانة » . والشجرة تنتج المادة التي نسميها اللبان وتسمى ايضا « اوليبانم » و « فرانكنسنس » . اما الاسم العلمي لها فهو « بوسويليا سوكوترانا » ويبلغ ارتفاع الشجرة حوالي عشرين قدما وقطر دائرتها بين ثمان وعشر بوصات تتعلق بسيقانها قشرات صغيرة مائلة إلى البياض وطين له لون ازرق رصاصي داكن . اما الليف الخشبي فيتمدد منتفخا بعصيره اللزج . وللشجرة بضعة زهور شوكية مبعثرة وتتعلق حوالي الشجرة قطرات البخور كأنها دموع كبيرة بعضها لا يزال مائعا وبعضها قد بدأ يتجمد .

ويبدأ الموسم بعد هطول المطر في حوالي شهر يونيو حيث تكون الشجرة منتفخة بالعصير فيذهب المزارع إلى الشجرة وبيده سكين يعمل فيها شقوقـــا عميقة مائلة يبلغ عددها بين عشرة وخمسة عشرة شقا طول الواحد منها حوالي ثلاث بوصات . وبطرف السكين يحدث ثقبا في الطرف السفلي من الشق ليكون بمثابة الجيب ، وفي هذه الجيوب تتجمع القطرات المائلة إلى البياض ولون العنبر ثم تتجمد وتتقوى مع مضي الايام . وفي نهاية الشهر يعود المزارع وينتزع القطرات النصف متجمدة بطرف سكينه ويحدث مزيدا من الشقوق المائلة في قشرة الشجرة ويكرر العملية مرة في كل شهر لمدة اربعة اشهر . وحين تصير قطرات اللبان قوية تكون جاهزة للبيع والتصدير . ومعدل انتاج الشجرة السقطرية حوالي ثمانية ارطال في السنة .

(ز) دم الاخوين — في العصور الماضية عرفت سقطرة بانها المصدر الوحيد

لشجرة دم الاخوين . ويسميها السقطرويون « عراييب » واسمها العلمي « دراكا يناسينابار » . ويبلغ محيط دائرة جذعها حوالي ثلاثين بوصة وارتفاعها خمسة وعشرين قدما . وتنمو في الارض الصخرية على ارتفاع يتّراوح بين الفين وخمسمئة قدم وثلاثة آلاف قدم ، وكانت مادة دم الاخوين تصدر بكميات كبيرة إلى ممالك العالم القديمة حيث كانت تستعمل في الصباغة والتجميل وفي تلوين الاوعية وتلميعها . اما في العصر الحاضر فقد انتهى مجد شجرة دم الاخوين السقطرية بعد اكتشاف وجودها في جزيرة سومطرة الاندونيسية وفي بعض بلدان اميركا اللاتينية ، واصبحت هاتان المنطقتان الوحيدتان اللتان تصدران المادة لاستعمالها في اعداد طلاء التلميع (ورنيش) .

ويقول السقطريون ان هناك نوعان من هذه الشجرة ، ذكر وانثى ، ولكنه قول قد لا يكون صحيحا لان التلقيح لا يحدث بالنسبة لشجرة دم الاخوين كما هو الحال بالنسبة لاشجار النخيل وبعض الاشجار الاخرى . الا ان النوعين موجودان فعلا احدهما مخصب والآخر مجدب . وحين تكون الاشجار صغيرة تظهر متشابهة وكأنها كلها منتجة لكنها حين تصل إلى سن معينة يتضح من شكلها إذا كانت مخصبة او مجدبة . والفرق الكبير بين النوعين هو في وجود او في غياب الغصون المنتفخة التي تنمو منها الاوراق الشوكية . واذا كانت الأغصان اطول في الشجرة اتضح انها مخصبة . ولا يزيد طول الغصن عن قدم يتطور وتتفرع عنه اغصان جديدة حتى تصبح الشجرة المخصبة وكأنها مظلة ضخمة مقلوبة . ويقوم المزارع بعملية الشق والخدش بالسكين من وقت لآخر وينتزع القشرة من مساحات مربعة صغيرة لا تتعدى بوصتين . وتمتليء هذه المساحات بالسائل في خلال اسبوعين او ثلاثة اسابيع ثم يجمع عادة في شهر ابريل . وفي بعض الاحيان يشق السائل طريقة خلال شروخ او بثور في الشجرة . وليست لهذه المادة رائحة مميزة ولا طعم خاص . وتستعمل فصوصها الحمراء الداكنة كمادة ملوّنة وتضاف إلى مساحيق الاسنان الطبية لا كمادة ملوّنة بل كمطهّر وكقابض للثة وهو المستعمل في بعض المعاجين الفرنسية لاكسابها اللون الاحمر

اللطيف كما تستعمل هذه المادة في الجزيرة لوقف النزيف مثل صبغة اليود وفي عملية معالجة العيون المعروفة محليا بـ « التنقيش » .

ويصدر اهالي سقطرة مادة دم الاخوين إلى عدن ومنها إلى اوروبا . ويتراوح سعر الرطل في الجزيرة بين ثلاثة وخمسة شلنات . وتكثر شجرة دم الاخوين في منطقة روكب فرمهن قريبا من دحس .

النباتات العطرية

(ا) الريحان — ويسمونه في عدن شُقُر وفي سقطرة زرهيمان وفي التهائم اليمنية حَبَق وهو من النوع البري وله رائحة زكية .

(ب) الشنة — يوجد في جبال حجير ويصدر إلى بلدان الخليج ومنه إلى باكستان ويستعمل في صناعة الروائح العطرية .

(ج) الياسمين —

(د) العود — ويسمونه بالسقطرية درحم ويوجد في جبال حجير

الزراعة في سقطرة

جاء في تقرير لوزارة الزراعة في عدن ان الرعي يعتبر الحرفة الرئيسية لاغلبية اهالي سقطرة . اما الزراعة فتعتبر حرفة ثانوية . ولا يوجد هناك من يعتمد اعتماداً كليا على الزراعة اذ لا توجد في الجزيرة زراعة ذات شأن رغم ان زراعة النخيل تنتشر بكثرة في الجزيرة ، الا ان الاهالي مع ذلك يستوردون كميات من التمر من حضر موت ومن الاحساء في المملكة العربية السعودية وذلك اولا بسبب تعرض النخيل للاعاصير الموسمية الشديدة مما يسبب تساقط التمر ، وثانيا لان انواع التمر الموجودة في الجزيرة واهمها « حوكم » و « صرفانة » و « مركت » ذات صفات رديئة . وتتركز زراعة النخيل بالقرب من الساحل وعلى جوانب الوديان . وتكثر حيث توجد العيون . ويعرف الاهالي زراعة

الكنب ويسمونه بالسقطرية « بامبي » وهو نوع من انواع الحبوب يشبه الدخن يصنع الاهالي منه خبزهم ويزرعونه في احواض (مطاير) حوالي منازلهم ويحيطونها بسور من سعف النخل لمنع الاذى عنها من الحيوانات ، كما يعرف الاهالي زراعة التبغ (التنباك) حيث تقوم المرأة السقطرية غالبا بالتخصص في زراعته .فتجلب الماء بواسطة القرب لتروي مطاير التبغ التي تكون غالبا قريبة من المنازل ، والتبغ يزرع ويجفف بطريقة بدائية ولذلك تقل جودته .

اما بالنسبة للمحاصيل الاخرى كالخضروات فتُعرف زراعة الفاصوليا والطماطم والفجل والبطيخ ولكن في مساحات محدودة وصغيرة تكون قريبة من المنازل وبطريقة بدائية . ويوجد في منطقة فاحر على الخصوص بعض اشجار القطن البري كما توجد ايضا في منطقة دعرهو بعض اشجار التمر الهندي (الحمر) وهم يسمونه في الجزيرة « صوبهر » وقد جرب بعض الاهالي زراعة السمسم والباباي والموز والذرة الشامية (الهند) وكانت نتائجها مشجعة .

هذا بالنسبة للمناطق السهلية اما في المناطق الجبلية فلا توجد زراعة حقلية على الاطلاق اذ تكسو الجبال فقط بعض الاشجار الطبية والحرشية التي ترعاها الماشية والتي سبق ذكرها ، كما توجد ايضا بعض اشجار الترنج التي تنمو بحالة برية . ولا يعرف الاهالي عملية الحراثة حتى بالطريقة البدائية المعروفة باستخدام البقر والآلة الخشبية . وهم يستعملون لذلك ما يسمى عندهم « مسمار » وهي عبارة عن سكين طويلة تستخدم في حراثة الارض بواسطة اليد .

وتتركز اغلب الاراضي الزراعية في منطقة نوهجد التي تمتد على طول الساحل الجنوبي للجزيرة تقريبا وتقدر مساحة هذه الاراضي بحوالي ثلاثين الف فدان وتمتاز هذه المنطقة بعدم تعرضها للرياح الموسمية التي تتعرض لها الجزيرة كما توجد في هذه المنطقة مساحات بسيطة تزرع الكنب والنخيل وتعتمد هذه الزراعة في الري بجانب السيول الموسمية على الآبار العادية التي يتراوح عمقها بين ٢٥ و ٣٠ قدما ، الا ان مياه بعض هذه الآبار مائلة إلى الملوحة ربما لقربها

من البحر . هذا وتختلف طبيعة تربة المنطقة المذكورة عن طبيعة التربة الموجودة في الساحل الشمالي من الجزيره ولو انها اقل احمرارا كما انها اكثر عمقا واقل صلابة .

وتوجد على سفوح الجبال وعلى جانبي الوديان في الداخل بعض المساحات الصغيرة الصالحة للزراعة كما هي الحال في مناطق دعرهو وفاحر وذيمالس والاخير في جبال حجير .

ويمكن اعتبار هذه المناطق مثالية لزراعة الحمضيات والفاكهة ذات النوى الحجرية مثل الخوخ والمشمش كما يمكن ايضا زراعة مثل هذه المناطق باشجار اللوز ويمكن ايضا القيام بزراعة اشجار التفاح والكمثرى (عنبرود) .

الاودية والينابيع والآبار

تزخر جزيرة سقطرة بامكانيات هائلة للمياه وتعتبر جبال حجير التي ترتفع حوالي خمسة آلاف قدم عن سطح البحر منبعا رئيسيا لمعْظم السيول الموسمية التي تضيع في البحر دون الاستفادة منها زراعيا اللهم الا في بعض الحالات التي يصادف فيها ان تمر بعض فروع الوادي على مزارع النخيل . ويمكن تقسيم المصادر الرئيسية للمياه إلى الثلاثة اقسام التالية : (١) مياه السيول (٢) مياه الينابيع (٣) مياه الآبار الجوفية .

(١) مياه السيول — يمكن تقسيم الوديان الرئيسية في الجزيرة المعتمدة على الامطار الموسمية إلى قسمين رئيسيين (أ) وديان تصب شمالا في خليج عدن وهي : وادي حديبو ووادي ارهينو ووادي السوق ووادي معابص ووادي قرية ووادي ضياف ووادي قضوب ووادي قلنسية . (ب) وديان تصب جنوبا في المحيط الهندي وهي : وادي دشّن ووادي دفعرهو ووادي صنقانو . ومعظم هذه الوديان وخاصة وادي دفعرهو تسيل فيها مياه السيول ثلاث مرات في العام وتذهب إلى البحر دون الاستفادة منها .

(٢) مياه الينابيع — يشكل هذا المصدر وديان دائمة الجريان يرتفع وينخفض فيها منسوب المياه على مدار السنة ، وهي : (أ) واديان تصب مياههما شمالاً في خليج عدن وهما وادي معبان فكة ووادي معبان فيسو ، (ب) وادي مطياف القريب نسبيا من منطقة نوهجد الزراعية ويمكن اذا ما توفرت الامكانيات اللازمة القيام بعملية ضخ هذه المياه بواسطة الانابيب إلى منطقة نوهجد او بتحويل المياه إلى المنطقة المذكورة بطريقة صناعية .

(٣) مياه الآبار الجوفية — يتراوح عمق الآبار العادية بالجزيرة من ٢٠ إلى ٣٠ قدما واغلب مياهها عذبة صالحة للزراعة الا في بعض الاماكن القريبة من الساحل الجنوبي للجزيرة حيث توجد بعض الآبار المالحة كما هو الحال في قرية حيف . ويتم حفر مثل هذه الآبار بالطريقة العادية وتبطن جوانبها بالاحجار الضخمة . ويستخدم الدلو لرفع الماء بواسطة اليد . ومياه اغلب هذه الآبار تستعمل للشرب وقليل منها تستعمل للزراعة البسيطة التي تحيط بالمنازل .

الجزر التابعة لسقطرة

تتبع جزيرة سقطرة خمس جزر صغيرة هي : عبد الكوري ، سمحة ، درسة ، كراعيل فرعون ، صبال .

وتقع جزيرة عبد الكوري على بعد ٢٠٠ ميل من راس التوابل (جاردفوي) ولها مرسى صغير في الشاطيء الجنوبي يسمى بندر صالح . وقد ذكرت البعثة العلمية البريطانية التي زارتها في سنة ١٨٩٨ انها جمعت معلومات عن حيواناتها وحشراتها ونباتاتها وارضها وان عدة عينات من الحيوانات والنباتات قد ظهر انها جديدة على علم الطبيعة .

والتركيب الطبقي للجزيرة شديد الشبه بتركيب سقطرة . وقد قاست الجزيرة كثيرا من التعرية والتجريد لأن حجر الجير الذي يعود إلى العصر الطباشيري والطبقة الثالثة من طبقات الارض قد اختفى من كل مكان فيما عدا قمة او قمتين . وتوجد الصخور البركانية بكثرة .

ومن اعلى ارتفاع يبلغ ١٧٥٠ قدما يطل على المرسى تظهر هذه الصخور البركانية وكأنها حلمات صغيرة بارزة في رمال الصحراء . وسكان الجزيرة قليلون جدا شديدو الفقر منعزلون عن العالم يعيشون في اكواخ في شقاء عظيم ويعملون في صيد السمك وفي الغوص بحثا عن صدف اللؤلؤ . واهم ما يذكر عن نباتات جزيرة عبد الكورى ان الجزيرة تخلو من الاشجار الموجودة في سقطرة مثل دم الاخوين والمر واللبان .

المسيحية في سقطرة

قيل ان القديس توما بعد ان زار عدن ابحر في القرن الخامس الميلادي في طريقه إلى الهند لكن السفينة تحطمت به عند سقطرة فهبط فيها ونشر المسيحية بين اهاليها . ويعتقد ان القديس توما قتل في الهند الا ان بعض المصادر تذكر انه انما قتل في سقطرة ودفن فيها وترك صليبه المشهور فيها وان الكتاب في تلك العصور البعيدة لم يفرقوا بين الهند وسقطرة اعتقادا منهم ان الجزيرة جزء من الهند ما دامت تقع في المحيط الهندي . ولما زارها كوزموس انديكا بليوستس من الحبشة في سنة ٥٤٠ م وجد الناس يتبعون المذهب النسطوري الكاثوليكي البابلي .

حين قام البطريارك اوزوريوس بزيارة للجزيرة سماها « زوكوتورا » وقال ان الناس في العصور الماضية كانوا يسمونها ديوسكورايدس وانها شديدة الخصوبة تنمو فيها كل انواع الاشجار والفواكه وانها ذات طقس عظيم الروعة . وذكر ان الاهالي مسيحيون اقاموا الكنائس والمذابح التي زينوها بالصلبان الا ان كنائسهم من غير تماثيل وانهم محافظون على الصوم والاحتفال بالاعياد الدينية وان الواحد منهم لم يكن يتزوج بأكثر من واحدة وانهم يعيشون حياة في غاية البساطة حتى انهم لا يفقهون شيئا عن الدين الذي يعتنقونه وانهم رغم احاطة البحر بجزيرتهم لا يعرفون عن فن الملاحة شيئا .

وفي سنة ١٥٤٢ م قدم إلى الجزيرة القديس فرانسيس اكزافير في طريقه

من مالندى إلى الهند وبعد مغادرة الجزيرة ووصوله إلى الهند كتب رسالة إلى مقر الجزويت في روما ، ونظرا إلى اهمية الرسالة نقتطف منها الجزء الخاص بالجزيرة فيما يلي :

« من مدينة مالندى في طريقنا إلى الهند وصلنا جزيرة طولها بين اربعة وعشرين وثلاثين ساعة سيرا على الاقدام وتسمى زوكوترا وهي فقيرة قاحلة لا يزرع فيها البر ولا الارز ولا الذرة ولا العنب ولا الفاكهة . انها ارض جافة غير منتجة يوجد فيها كثير من النخل وحتى الخبز يعملونه من التمر . وهذا شيء حسن . ويعيش الاهالي على اللبن والتمر واللحم . انها ارض ذات هدوء عظيم . سكانها مسيحيون في رأي انفسهم ، ويعتقدون انفسهم كذلك، ويفخرون بأنهم يتخذون اسماء مسيحية للبرهنة على مسيحيتهم . انهم ناس شديدو الجهل لا يعرفون القراءة ولا الكتابة ولا يملكون كتبا ولا مخطوطات . انهم لا يعرفون الا قليلا . ويفخرون بانتمائهم إلى المسيحية . ولديهم كنائس وصلبان وفوانيس . ولكل منطقة قاضيها الذي يشبه القسيس عندنا . ولا يعرف هؤلاء القسس القراءة ولا الكتابة وليست عندهم كتب او مخطوطات ، بل هم يحفظون الصلوات والادعية غيبا ويذهبون إلى الكنيسة في منتصف الليل وفي الصباح وفي ساعات صلاة المغرب وفي المساء في وقت القداس الذي يقام بعد المغرب ويفعلون ذلك اربع مرات في اليوم . وليست لديهم اجراس بل ينادون الناس للصلاة بالعصي كما نفعل نحن في الاسبوع المقدس . والقسس انفسهم لا يفهمون الصلاة والادعية التي يتلونها لانها ليست بلغتهم ، واظن انها باللغة الكلدانية . وقد كتبت ثلاثة او اربعة من الادعية التي يتلونها . وزرت الجزيرة مرتين ووجدت الناس يتبعون مذهب القديس توما الذي حولهم إلى المسيحية في هذه الاجزاء كما يقولون وفي الصلوات سمعت القسس يذكرون الكلمة « هللويا » كما ننطقها نحن تقريبا . ولا يقوم هؤلاء القسس بعملية التعميد ولا يتذكرون ما هو التعميد . وفي المناسبات التي ذهبت فيها إلى الجزيرة عمدت كثيرا من الاولاد بينما وقف اباؤهم وامهاتهم وانا اجري التعميد وبكل محبة وحسن نية رغم فقرهم قدموا لي ما

عندهم فقبلت منهم حسن النية مقابل الفعل . وقد طلبوا مني بكل اخلاص ان ابقى معهم وانهم كبيرهم وصغيرهم مستعدون لقبول التعميد . فطلبت من الحاكم ان يسمح لي بالبقاء لانني اردت البقاء ولان الناس ارادوا ان احضر القداس الذي كانوا يستعدون له . ولكن نظرا إلى ان الترك كانوا يجيئون إلى الجزيرة مع عدم وجود سكان برتغاليين فيها ولاجل حمايتي من الوقوع في أسر الترك لم يرد الحاكم مني البقاء قائلا انه يرغب في ارسالي إلى مسيحيين آخرين يحتاجون إلى الهداية والارشاد كما يحتاجها اهل سقطرة وربما اكثر ، والذين سأؤدي بينهم اعظم خدمة لسيدنا الرب .. وحضرت صلاة المغرب انهاها قسيس في ساعة ولم يفعل شيئا سوى الطواف بالبخور وتلاوة الادعية . وكان يحرق البخور طول الوقت . وهؤلاء القسس متزوجون محافظون على الصوم ، وحينما يصومون لا يتناولون السمك واللبن واللحم ويفضلون الموت على تناولها . وتوجد كميات كبيرة من السمك في الجزيرة ويعيش الاهالي على التمر والخضروات ويصومون مرتين تستمر احداهما شهرين .. واذا تناول احد من غير القسس اللحم خلال الصوم لا يدخل الكنائس . ولا تذهب النساء إلى الكنائس خلال فترة الصوم .. وفي تلك البلاد توجد امرأة عربية لها ولدان صغيران اردت ان اعمدهما ولم اكن أعلم انهما من ابناء العرب فهربا مني إلى امهما واخبراها انني اردت تعميدهما . وجاءت المرأة اليّ صارخة طالبة مني ان لا اعمد ولديها لانها عربية ولا تريد ان تكون مسيحية ولا ترغب في ان يكون ولداها مسيحيين . وقال لي مسيحيو تلك البلاد اني يجب ان لا اعمد الولدين بأي حال من الاحوال لانهم لا يوافقون على ان يكون للعرب شرف الانتماء إلى المسيحية ولا يقبلونهم ان يكونوا كذلك . ان هؤلاء الناس في عداء مع العرب .. »

« من جوا في ٢٠ سبتمبر ١٥٤٣ امضاء فرانشسكو دى اكزافير »

وفي القرن الرابع عشر الميلادي ارسل البابا يوحنا الثالث بالراهب الدومنيكي الفرنسي وليم آدم للتبشير في الحبشة ، وجاء الراهب إلى عدن ومكث فيها سنتي ١٣١٣ و ١٣١٤ م ثم رحل إلى سقطرة وقضى بين سكانها المسيحيين تسعة اشهر

عاد بعدها إلى فرنسا وتوفي في البلاط البابوي في افنيون .

وحين زار الرحالة البرتغالي ماركو بولو الجزيرة وجد فيها بعض المسيحيين

وذكر ياقوت في معجم البلدان ان اكثر اهل الجزيرة نصارى عرب وان اليونانيين الذين فيها يحافظون على انسابهم محافظة شديدة .

وذكر الهمداني : « في سقطرة من جميع قبائل المهرى ونحو عشرة آلاف مقاتل من الروم النصارى وضعهم فيها كسرى ثم نزلت بهم قبائل من مهرى فساكنوهم وتنصر بعضهم . واما اهل عدن فيقولون انهم لم يدخلها من الروم احد ، ولكن أهلّها الرهابنة ثم فنوا وسكنها مهرى وقوم من الشراة فعدوا على من بها من المسلمين وقتلوهم غير عشرة اناسية ، وبها مسجد بموضع يقال له السوق . »

وقال احمد بن ماجد الربان الذي قاد الرحالة البرتغالي فاسكو داجاما من مالندى إلى الهند : « يعيش في سقطرة اهماج النصارى ويحكمها في ايامنا هذه عمرو ابن عفرار وبنو عبد النبي السليماني الحميري من مشائخ المهرى وقد بنيا حصارا (حصنا) وحكموا الاهالي وسخروا قسما منهم للعمل بدون اجر وفرضوا على كل رجل ضريبة مقدارها فراسلة من السمن ، وعلى كل امرأة شملة (بساطا سقطريا) . واضاف ابن ماجد ان الاهالي قتلوا احمد ابن محمد ابن عفرار الذي حكمهم بعد وفاة والده فاقبل اعمامه وقبيلته المهرى إلى الجزيرة واخضعوا الاهالي وسخروهم وعينوا ابن عبد النبي حاكما على الجزيرة ، وان سقطرة شؤم على من يحكمها ، وان الاهالي قوم وطنيون يطعمون الغريب الوافد عليهم بالماء والطعام كما يقدمون اليه الملابس والنساء ، وان التي تحكمهم امرأة . اما فيما يخص الزواج فيما بينهم فانه في ايدي القسس المسيحيين الذين يعيشون في كنائسهم . وهؤلاء يديرون شئون الاهالي حسب تعليمات تلك المرأة . الا ان نفوذها تضاءل وضعف . »

البرتغال في سقطرة

نشط البرتغاليون في سواحل بلاد العرب وخاصة امام عدن في اوائل القرن السادس عشر . وفي سنة ١٥٠٣ وصل إلى سقطرة اسطول برتغالي بقيادة انطونيو دي سولدانيا واحتلها وبنى حصنا وجعل من الجزيرة قاعدة بحرية ونقطة ارتكاز يسافر منها البرتغاليون إلى الهند مباشرة ، ثم انسحب منها . وفي سنة ١٥٠٧ عاد الاسطول البرتغالي بقيادة ترستاو دى كنها والفونسو ديلبوكيرك بحجة حماية المسيحيين فيها . والواقع ان ذلك الاحتلال كان الغرض منه حماية المستعمرات البرتغالية في الهند والحصول على مستعمرات على السواحل العربية . وهاجم الغزاة حصنا في الساحل الشمالي للعاصمة حديبو ، وكان فيها فريق من المهرى اهالي قشن . ونجح البرتغاليون في احتلال الحصن بعد ان دافع العرب عنها دفاعا مستميتا حتى قتل كل فرد فيهم . وقال الغزاة ان اسم قائد الحامية كان الخواجة ابراهيم . وبنى دى كنها حصنا في مدينة السوق القديمة ولكنه عاد فهدمه في سنة ١٥١٣ حين انسحبوا من الجزيرة .

وذكر المؤرخ الحضرمي شنبل التريمي : « في هذه السنة (٩١٢ هـ) — ١٥٠٦ / ١٥٠٧ م اخذ الافرنج الكفار سقطرة وقتلوا هناك طوعرى الزيدوى مع خمسين من المسلمين وبنوا حصنا هناك » . واضاف شنبل ان المهرى بنوا حصنا بعد رحيل البرتغاليين .

وذكر المؤرخ الحضرمي محمد بن عمر الطيب بافقيه باعلوى الشحرى : « في هذه السنة (٩١٣ هـ — ١٥٠٧ / ١٥٠٨) اخذ الافرنج جزيرة سقطرة وجزيرة هرمز واعطوا الامان للتجار هناك وبنوا حصنا وفرضوا شيئا معلوما — أي ضريبة — كل سنة على المعشرات وعلى مغاصات اللؤلؤ وغيرها .

وكان تشييد الحصن البرتغالي على انقاض حصن مهرى على بعد ٤٠٠ ياردة من الميناء .

سلاطين آل عفرار

حين ذهب وفد حكومي استطلاعي من عدن إلى جزيرة سقطرة في ١٩ ديسمبر ١٩٦٧ استطاع السيد محمد مهدي فدعق من وزارة الزراعة والاسماك (قسم التعاون والتسويق) الحصول من احد اهالي سقطرة على مخطوطة تشرح قصة عجيبة تصف قيام سلطنة آل عفرار المهرية في حضر موت وسقطرة . ومما يؤسف له ان اسم كاتب المخطوطة لم يكن مذكورا الا ان الدكتور سارجنت الذي حصل على نفس القصة في المكلا علم بأن راويها كان اصلا رجلا يسمى سليم من قبيلة بيت صميدع المهرية الصحراوية وكان قد سمعها من سادة مدينة غيضة المهرية ورواها ايضا تاجر من اهل قشن اسمه ابن عمرون . وفيما يلي القصة كما وجدتها في مخطوطة سقطرة وكانت احدى الورقات ممسوحة في سطريها الاخيرين فانمحت كلماتها ، كما ان القصة في المخطوطة كانت غير كاملة لان بعض الورقات كانت مفقودة فأكملناها من ترجمة الدكتور سارجنت :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الجليل صنعة المؤمل جوده الذي لا يحده مثال ولا يتكيف ببال جل ذاتا وصفاتا عن يصفه الواصف وعن يحيط بتاريخه عارف والصلاة والسلام على من بذكره يطيب المسراح وتنتعش بذكره القلوب والارواح سيدنا محمد النبي العظيم صلى الله عليه وسلم وعلى آله . أما بعد ليعلم الواقف عن تاريخي هذا وسبب اعتنائي به والتفاتي اليه انني ما زلت مولعا بمطالعة التواريخ مجددا على تصفح ما كانت عليه الامم السابقة ودول الاسلام وما كانت عليه من تداول الانعام حتى أنخت مطايا الجد الى الدول المتأخرين فلم أزل أجد لكل دولة تاريخ وقته وسبب استيلائه وجليل سميه وسوى حكومة العفرارية ومملكتها التي هي أقدم الانام دولة وأوثق الاسلام عصمة وحمية وأجلها عزا وشأنا فلم أر لها تاريخا يذكر وتصانيف تنشر ولم يقيض الله أحدا يعتني بضبطها وجميل سيرها وهي أحق بأن تذكر وأجدر بالبث والنشر فحينئذ حل بي داعي الاحزان وجذبني الاعتناء بهذا الشأن فألزمت نفسي أن أعتني في

هذا الامر المدلهم وان لم أكن من فرسان هذا الميدان وعلى الله الاعتماد وبه التوفيق والسداد آمين .

(ذكر سبب استيلاء سلاطين آل عفرار) . أقول أول استيلاء سلاطين آل عفرار وملكهم أرض المهري أن ثلاثة أنفار خرجوا من حضرموت أحدهم اسمه عفرار والعفيفي لقبه فهو ينسب الى آل عفيف اليافعي بالجد ولذلك قال شاعرهم « نحن ويافع على أب وجد » وكلاهما ينسبان الى قحطان الحميري الكبرى والصغرى فالكبرى ينتهي اليها المهري ، والصغرى هم آل يافع ،والثاني من الذين خرجوا من حضرموت عرشي والثالث عكشوت ، وقيل معهم شيخ جوهري ، انه لم يزل عفرار من بين القوم يخدم الشيخ ومعتنيا به جدا وما زال الشيخ يدعو له من بين القوم ويقربه ويعظمه حتّى انه عند الفراق دعا لكل بدعوات ودعا لعفرار بالمملكة والسلطنة والنصر على الاعداء ، وقد حقق الله ذلك ثم انه دخل أرض المهري واستولى عليها وملك زعامة المهري شرقها وغربها وسهلها ووعرها فيحدها شرقا أرض ابن تيمور وغربا أراضي القعيطي ونجد أرض المناهيل وأكثر استيطانهم من البلدان قشن التي هي من السبع المدن كما قيل . وما زالت مملكة السلاطين آل عفرار في ازدياد وملك ليس له نفاذ الى وقتنا هذا وأمل من المولى الكريم أن يديم هذه المملكة وجميع أملاك المسلمين من يومنا هذا الى يوم التناد وعلى الله الاعتماد وبه التوفيق .

(ذكر مقتل سلاطين آل عفرار) كانت وزارة سلاطين آل عفرار في تلك الاعصر لبيت محامد قبائل من المهري وهم سيف دولتهم . وكانت الحكومة الكثيرية قد عمت أقطار غالب حضرموت بالحروبات الى أن استولت عليها وعمت الساحل من الاراضي المكلا ونواحيها الى أن بلغت أراضي المهري فما زالت تدخل أرضا أرضا ولها من القوة والثبات ما لا يحصر ولا يخطر ببال والسلاطين آل عفرار في قشن لم يشعروا بتلك الحوادث ولا بدخول تلك الجنود المجندة، والانسان يؤمل البقاءالى أن ثارت في الناس أخبار تلك الجنود وبأنهم قاصدوهم بالحرب فلما تحققت الاخبار عندهم وعلموا أن لا بد لهم من

الملاقة شمروا ذيل الجد والاستعداد بالملاقة وما زال الناس قائلين لهم لا يمكن أن تهجموا عليهم حتى تنظروا كم عدد القوم وتنظروا استعدادهم وأين هم ومن هم . فأرسلوا في طلب القوم وزيرهم أحد من بيت محامد قبائل من المهري فلم وصل القوم لم يتأملهم حق التأمل حتى انه لما وصل السلاطين آل عفرار قال ان القوم شرذمة قليلون وناس لا خوف منهم ولا يسعكم الا أن تخرجوا لهم وأنتم بأنفسكم خاصة ولا تستعدوا لكم بأحد الرعية ليكون لكم الفوز خـــاصة والعقبى من دون غيركم ، فعند ذلك خرج السلاطين خاصة من دون الناس وجدوا ذيل العزم بمصادمة العدو متسلحين بأسلحتهم ولابسين أثواب عزهم وفخرهم الى أن بلغوا تنية من المكان المسمى — غربي من قشن ما شعروا الا والقوم يظهرون عليهم أفواجا وتكاثرت عليهم الجيوش التي لا يحصرها حاصر ولا يحيط بعدها عاد ولا حاسب قاصدين نحوهم مؤملين قتلهم وسبيهم فعند ذلك علموا أن لا ملجأ اليوم من القوم وتحققوا انهم على كل حال مقهورين وان ملكهم سيسلب ونفوسهم ستغلب فجمعوا رأيهم أن القوم ستتفضل علينا بالذل والهوان وسلب الملك فأولى لنا أن نتولى القتل بأيدينا فعمدوا الى أرديتهم وكبلوا أرجلهم وعمد كل انسان الى سلاحه وقاتل حتى قتل طلبا للشهادة من رب الارباب فوزا بالسعادة في دار القرار ، وأخذ القوم الكثيري مجدين في استيلائهم الاراضي ظلما وقبضوا البلاد والعباد ولم يلاحظوا تقلب الايام وحادثات السنين والاعوام غافلين عن قول القائل :

ستبدى لك الايام مـــا دمت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود

والعباد ما زالت في ثبور وعويل وهم طويل وكرب اثيل لفقدهم المجد المستطيل رافعين أكف الشكوى الى العليم الخبير ، والرعايا منهم من فر الى رؤوس الجبال ومنهم من بقي في موضعه يقابل النكال ولم تبق من السلاطين آل عفرار من الذكور غير نسائهم كفلهن أحد من بيت زياد وخرج بهن الى مواطنهن في الجبال والبوادي وقيل لما خرجت فيهن احداهن زوجة أحد المقتولين فأتت الى زوجها المقتول وأخذت من دمه شيئا وألقته في مراعينها وما زالت

في البادية حتى ولدت فأتت بابن ذكر سمته سعد ابن عيسى وبقي في حجرها الى أن بلغ وقيل انها لما تنشط وعقل ترميه بالحجارة لتمرنه الحروبات ثم انها عمدت الى دم أبيه المقتول المخزون عندها ودفعته اليه وأخبرته بما كان وما حلت بآبائه المثلات وبانتزاع ملكهم وقهرهم وكيف اليوم أنت تقر وترتاح واني لك المستراح ولم تزل تهيجه بتلك الكلمات وأخذ ثأره من حلت بهم المثلات والابن وما زال في بؤس وهم وكرب وغم ورأى نفسه أن الحياة ذميمة والموت أولى اذا لم يأخذ بثأر آبائه فأخذ يسافر من أرض الى أرض ويهيم من بيداء الى بيداء — (قد نذر أن لا يحلق شواربه حتى يثأر لمقتل آبائه) — حتى انتهى الى جزيرة سقطرة ، وكانت مملكتهـــا في تلك الاعصر للملك الجليل والشهـــم العظيم الذي ملك الجيوش والعسكر وخضعت له الرقاب وأذل الأمور الصعاب ابن ماجد ، وهو الذي صنف في الفلك التصانيف التي بين أيدينا الى الآن . وكان مصالحا لجميع طوائف النصارى وسائر دول الاسلام والكفرة ولم تخالفه الدول في طرفة عين ، وله من الملك والعسكر ما لا يسعه الواصف ولا يحصره عاد ولا عارف ، وكانت له بنت واحدة فقط ولا له أحد غيرها فخطبها الملك سعد بن عيسى ولا له غرض فيها وانما قصده التقرب الى أبيها فأجابه الى الزواج وزوجها له والسلطان منذ خروج لم يلتفت اليها أبدا ولم ....

....

تلك الحالة وعدم التفاته اليهـــا فسألته عما كان منه وأي شيء جرى له وعن تنكر حالته فلم يجبها وأعرض عنها فأعادت السؤال ثانيا وثالثا فقال لها ان كان أبوك يضمن بما أريده فأنا إذاً أجيبك فأخبرت أباها بما قال لها وما كان من تغير حالته وتنكره وعدم التفاته اليها فقال لها ابوها نعم أنا ضامن بمـــا أراده منك وطلبه فأخبره بحالته بقتـــل آبائه وقهرهم وما فعل الكثيري بهم ومملكتهم واستيلائهم عليها ظلما وعدوانـــا وكيف بمن حالته هذه أن يتنعم أو يقر له قرار فرثى أبوها بما جرى له وعلى تحمله المشاق وما حلت بآبائه حادثات الايام فعند ذلك التفت الى تجهيزه الحروبات وأرسل الى عامله أحد من الكفار في الولايات بأن يأتيه بسبع مراكب مشحونة بالعسكر وآلات الحرب فركب

فبهن السلطان واستمر في السير الى أن قرب من قشن التي هي موطن الاحباب واستولت عليها الكلاب . (وطاردوا بدر بن طويرق والى حال التاريخ يمكن مشاهدة حصون بدر بن طويرق ويقال انهم خربوها بواسطة المدافع ثم أخرجوا بدر بن طويرق من أرض المهري ونصبوا سعد أبو شوارب المذكور سلطانا وحينئذ حلق شواربه في مسجد قشن أمام الناس وفاء بنذره ثم أحضر زوجته بنت ابن ماجد من سقطرة وسكن في قشن وولدت له زوجته ولدا اسمـــاه طوعري وأنجب ولدين هما عامر بن طوعري وسعد بن طوعري . وسافر سعد الى أخواله في سقطرة فنصبوه سلطانا ؛ أما عامر بن طوعري فقد بقي في قشن وصارسلطانا بعد أبيه . وأولاد عفرار الموجودين حالياًفهم من أولاده) .

تلك كانت الحكاية التي روتّها مخطوطة سقطرة ونهايتها كما ذكرها الدكتور سارجنت الذي علق في كتابه «البرتغاليون في سواحل جنوب الجزيرة العربية» على هذه القصة بأن من الممكن مقارنة هذه القصة بتسجيلات الشحري لسنة ٩٥٥ ﻫ (١٩٤٨ / ١٩٤٩ م) حيث نعلم أن سعد عاد فعلا مع البرتغاليين ويحتمل أن أخاه الذي رحل الى الهند كان عامر الا أن البرتغاليين كانوا قد تخلوا عن سقطرة وكان ابن ماجد هو الربان الذي قاد البرتغاليين من مالندي الى الهند في أول رحلة قام بها الرحالة فاسلكو داجاما . أما كونه حاكما على سقطرة فغير محتمل اطلاقا الا أنه ليس مستحيلا وجود صلة بين مالندي وسقطرة وقشن .. ونحن نرى من كلام ابن ماجد أنه يشير الى أن عمر ابن عفرار بنى حصنا في سقطرة في حديثه عن السكان المحليين المسيحيين ؛ واستولى بدر على قشن في سنة ٩٢٥ ﻫ (١٥٤٥ / ١٥٤٦ م) وفر سعيد بن عبدالله بن عفرار مع جماعته من قشن حيث كان بدر موجودا الى بروم في زورق صيد ، ثم غادرها ليؤدي فريضة الحج . وبناء على قول المؤرخ الشحري أن بدر تقاتل مع جماعة مـــن المهرى المسلحين بالبنادق والزرد وقتل ستين رجلا من مختلف القبائل ؛ وهو عدد كبير ، لذلك فان ذكرى المجزرة المشهودة كانت صحيحة الا أن الفترة بين ضياع قشن والقصف البرتغالي على الحصن كانت حوالي ثلاث سنوات فحسب .

الاحتلال البريطاني لسقطرة

في سنة ١٦١٨ كان الصراع البحري عنيفا بين البرتغاليين من جهة والانكليز والهولنديين من جهة أخرى . وفي تلك السنة وصل القائد البحري الهولندي فان دن بروك الى عدن ثم رحل الى سقطرة .

وفي سنة ١٢٤٥ هـ (١٨٢٩ م) أرسلت حكومة الهند بناء على أوامر من مجلس المديرين التابع للبحرية البخارية بين بريطانيا والهند بالسفينتين بنارس وبالينورس لتطوفا البحر الاحمر ، وكانتا تحملان كميات من الفحم لافراغها في عدن لتموين السفينة هيولندسي التي كانت أول سفينة تبنى في الهند . ثم قام الكابتن هينس بطواف على طول مئة ميل من الساحل الحضرمي في شهر واحد ، ثم أبحر الى قشن ليطلب من رؤساء قبائل المهري الاذن له بالطواف حول الجزيرة لأن سلطان سقطرة عمرو بن سعيد هو في نفس الوقت سلطان الساحل العربي من حضرموت الممتد من حدود (سلطنة القعيطي) الى حدود سلطنة مسقط وعمان . وحصل هينس على الاذن فأبحر في سنة ١٨٣٤ الى حديبو وبعد انتهائه من مسح الساحل عاد الى بومباي ، وفي اكتوبر من نفس السنة رجع الى قشن على السفينة بالينورس ليفاوض السلطان عمرو بن سعد في شراء سقطرة .

ووافقت حكومة الهند البريطانية على أن تدفع عشرة آلاف ريال نمساوي ثمنا للجزيرة وأضافت الحكومة البريطانية انها تعتمد على هينس في أن ينجح في تخفيض المبلغ . وقبل أن يصل هينس سبقه الى الجزيرة عدد من الجنود الانكليز. ووجد هينس السلطان عنودا لا يبغي التفريط ببلاده ، ولما رأى السلطان تهديدا من البريطانيين باحتلال الجزيرة غضبا قال لهينس : « حقاً ان بلادي فقيرة خالية لا فائدة مادية كبيرة منها وبأمكانكم أن تأخذوها منا قهرا ، ومع ذلك فانني أرفض أن أبيعها أو أسلمها لكم » . [1] وازاء ذلك الرفض وصلت فرقة من الجنود البريطانيين والهنود على السفينة تيجرس بقيادة الكوماندر روبرت لو

---

(١) كتاب تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية للمؤلف.

والسفينة شانّن بقيادة الملازم واري . وكانت الحملة بقيادة الكابتن بايلي . واحتلت الحملة حديبو بقوة السلاح وبقي الجنود فيها عدة أشهر ثم أجبرت السلطات البريطانية السلطان على التوقيع على معاهدة يسمح بموجبها بنزول الفحم أو أية مواد أخرى في أي جزء من الجزيرة . وفي سنة ١٨٣٥ وقعت عاصفة هوجاء أغرقت زوارق السفينة تيجرس وما تحمل من جنود ثم انتشرت الحمى بين الجنود وبلغت الكارثة ذروتها حتى انه لم يعد يوجد رجل واحد بين الجنود يملك قوة ليحفر قبرا لزميله ، فاضطرت حكومة بومباي الى اجلاء من بقي منهم على الجزيرة حتى حين .

وحين كان هينس يحاصر عدن قبيل احتلالها أرسل تقريرا الى حكومته يصف فيه السلطان محسن فضل بن محسن فضل العبدلي وصفا بذيئا علق عليه الكولونيل جيكب في كتابه ملوك العرب بقوله : « كان هينس متجنيا على السلطان ورأيه فيه رأي غير كريم ، فقد نسي هينس تجاربه الشخصية في سقطرة حينما رفض سلطانها عمرو بن سعد أن يسلم بلاده أو يبيعها فاستولى عليها هينس بقوة السلاح والضغط والارهاب » . وأضاف جيكب قائلا : « ان تاسيتس ذكر أن البريطانيين في أيامه وصفوا الغزاة الرومان الذين غزو بريطانيا بأنهم لصوص عالميون ، ألم نقتف نحن في العصر الحديث أثر الرومان في ذلك العصر الغابر ونفعل مثلما فعلوا »

وفي يناير ١٨٣٩ احتل البريطانيون عدن . وجعل ذلك الاحتلال المعاهدة المفروضة على سلطان سقطرة غير ذات فائدة ، الا أن استعمال الجزيرة كملجأ لبحارة السفن المحطمة أو كمحطة لفنار أو كمركز عسكري كان داعيا لاستمرار احتلالها . وحين زارها الملازم كروتندن بعد ثلاث سنوات وجد أن عدد السكان قد انخفض . وهناك علم بأن سفينتين حربيتين فرنسيتين زارتا الجزيرة وان الفرنسيين يسعون لشرائها من السلطان .

وفي أواخر ١٨٧٤ كان الجيش المصري المظفر يشق طريقه مكتسحا كل

الخط الساحلي من مصر حتى رأس التوابل (جاردفوى) في قرن افريقيا ببلاد الصومال . وبدأ الترك يتطلعون نحو خليج عدن وبحر العرب والمحيط الهندي وخاصة بعد زيارة قامت بها سفينة تدريب تركية للجزيرة . وتنبهت بريطانيا الى الخطر وظلت تنظر الى التطورات بعين يقظة وفي يناير ١٨٧٦ ذهب المقيم البريطاني في عدن على السفينة الحربية « بريتن » الى سقطرة وقشن يحمل مواد معاهدة اضطر السلطان الى التوقيع عليها مقابل معونة نقدية مقدارها ثلاثة الالف ريال ماريا تيريزا و ٣٦٠ ريالا في السنة . وتعهد السلطان بالنيابة عن نفسه وبالاصالة عن ورثته وخلفائه بأن لا يتخلى عن أو يبيع أو يرهن أو يهدي الجزيرة أو أي جزيرة من توابعها الى أية دولة غير الدولة البريطانية . وفي ابريل من نفس السنة ذهب الى الجزيرة الضابط السياسي والعسكري كابتن هنتر يحمل نسخ المعاهدة وقد صادقت عليها حكومته .

ذكر الكابتن هنتر في تقرير له في سنة ١٨٧٧ اسم السلطان علي بن عبدالله بن سالم بن سعد بن طوعري كسلطان على سقطرة وعلى منطقة المهري في حضرموت ، وقال : « عقدت مؤخراً معاهدة بين الحكومة البريطانية وسلطان الجزيرة تعهد فيها السلطان بالنيابة عن نفسه وبالاصالة عن ورثته وخلفائه بأن يحمي أية سفينة أو ركابها أو بحارتها سواء كانت بريطانية أو ذات جنسية أخرى شاء لها سوء الحظ أن تتحطم على جزيرة سقطرة ، ومقابل ذلك سوف يتسلم السلطان مساعدة مالية مقدارها ٣٦٠ ريالا في السنة . » وفي نفس تلك السنة زار عدن السلطان صالح بن عيسى وتوفي السلطان سعيد بن حامد .

وبين فبراير وابريل ١٨٨٠ زار الجزيرة البروفيسور الدكتور بالفور استاذ علم النباتات في جامعة كلاسكو للقيام بأبحاث حول نباتات الجزيرة . وفي نفس السنة وسنة ١٨٨١ زارها البروفيسور شوينفورت والبروفيسور شارتران مانويل العالم الطبيعي الفرنسي للقيام بأبحاث علمية .

وفي سنة ١٨٨٤ تحطمت السفينة البريطانية «آيرى» بالقرب من ظفار ،

وقام نائب السلطان في قشن بالاعتناء بالبحارة . وفي ٢٣ ابريل ١٨٨٦ عقدت معاهدة استثنائية مع السلطان فرضت بموجبها بريطانية الحماية على السلطنة . وفي ٣ اكتوبر من نفس السنة ذهب المقيم السياسي البريطاني في عدن الجنرال هوج الى قشن على السفينة الحربية «بنجوين» وسلم السلطان نسخ معاهدة ٢٣ ابريل مصادق عليها من جانب الحكومة البريطانية ، ثم أخذ السلطان سالم حـاكم سقطرة الى الجزيرة حيث رفع العلم البريطاني وأطلقت البحرية الملكية البريطانية ٢١ مدفعا تحية للعلم . وفي أول نوفمبر من نفس السنة وصل الى حديبو نائب امير البحر السير رتشاردز على السفينة الحربية « بكشانتي » ترافقه السفينة الحربية « مارينر » وتوجهت السفينتان الى قلنسية لرفع علم بريطاني آخر .

وفي ٣٠ مايو ١٨٨٧ تحطمت السفينة الالمانية «اودور» بالقرب من رأس رضرسة . وفي مايو ١٨٨٨ قام المقيم البريطاني بزيارة للسلطان وتقرر أن يضاف مبلغ ١٢٠ ريالا الى المعونة السنوية للسلطان . وفي ٢ مايو وقعت معاهدة حماية في قشن . وفي سنة ١٨٩٢ وصل الى قشن الطالب الالماني ليو هوخ لدراسة اللغة المهرية . وفي سنة ١٨٩٧ تحطمت السفينة « ايدن » بالقرب من سقطرة .

وفي ٢٨ اكتوبر ١٨٩٨ غادرت بريطانيا بعثة علمية بريطانية نظمتهامتاحف بريطانيا وليفربول بالاشتراك مع الجمعية الملكية بلندن والجمعية الملكية الجغرافية بلندن للقيام بأبحاث علمية عن حيوانات ونباتات سقطرة . وفي ١٨ ديسمبر من نفس السنة نظمت اكاديمية العلوم في فيينا بالنمسا بعثة علمية برئاسة الكونت لندنبرج ثم الدكتور مولر للقيام بأبحاث في سقطرة وحضرموت والعوالق تختص بعلوم طبقات الارض والحياة والزراعة والحيوانات والآثار .

وفي سنة ١٩٠٥ زار نائب المقيم البريطاني سقطرة وسلم للسلطان رايـــة بريطانية لرفعها على ميناء العاصمة حديبو . وفي ابريل – يونيو ١٩٠٧ قـــام حاكم بومباي لورد لامنجتن بجولة في الجزيرة يرافقه المقيم السياسي البريطاني في عـــدن .

وفي ٣ أبريل ١٩٥٤ وقعت بين السلطان وبريطانيا معاهدة استشاريـــة ننشرها فيما يلي :

المادة الاولى — ان حكومة صاحبة الجلالة الملكية في المملكة المتحدة تقبل أن تعين مستشارا مقيما لدى السلطان ، والسلطان رغبة منه في رخاء ولايته يوافق على قبول نصيحة المستشار في جميع الامور الا فيما يخص الدين الاسلامي والتقاليد .

المادة الثانية — ان حكومة صاحبة الجلالة في المملكة المتحدة تعترف بحق سلاطين قشن وسقطرة من آل سعد بن طوعري بن عفرار في تعيين خلفائهم بشرط موافقة الحكومة البريطانية في كل مرة .

ان المعاهدة الحالية التي وقعت في نسخة انكليزية وأخرى عربية ستكون نافذة المفعول . وللشهادة على ذلك وقع المستر توم هكنبوتم ك . س . م . ج . ، سي ، اي . ، أو . بي . اي . في عدن في الثالث من ابريل ١٩٥٤ على نسختين لاجل وبالنيابة عن حكومة صاحبة الجلالة في المملكة المتحدة . ووقع السلطان عيسى بن علي بن عفرار على نسختين في حديبو في الحادي عشر من ابريـــل ١٩٥٤ — ٨ شعبان ١٣٧٣ هجرية بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن نسله وخلفائه وورثته .

وبين مارس ويونيو ١٩٦٧ زارت سقطرة بعثة بريطانية نظمتها عـــدة معاهد بريطانية للاشتراك مع القوات البريطانية المسلحة وادارة المندوب السامي البريطاني في عدن

وفي ٢٨ نوفمبر ١٩٦٧ رحل الجيش البريطاني والادارة البريطانية عـــن عدن وبقية أنحاء الجنوب وأعلن ان اسم « الجنوب العربي » قد تغير الى اسم « جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية » التي ضمت جزيرة سقطرة وبلاد المهري الأخرى .. وأصبحت الجزيرة مع بقية الجزر التابعة للجمهورية جزءاً مـــن المحافظة الأولى التي تعتبر عدن عاصمة لها .

جزر كوريا موريا

تتكون جزر كوريا موريا من صخور ترتفع قممها المخروطية بانتظام ، وتمتد موازية للساحل الشمالي لخليج كوريا موريا على مسافة تتراوح بين ١٩ و ٢٠ و ٢٦ ميلا الى الغرب منه .

ويختلف التيار كثيرا بين الجزر وينطلق غالبا نحو الشمال الغربي ، أمـــا حركة تيار المد والجزر الى الغرب من جزر كوريا موريا فتنطلق شرقا أثناء المد لكنها الى الشمال من الجزر تنطلق في الاتجاه العكسي أثناء نفس الوقت :. وجزر كوريا موريا الخمس هي سودة وجبلية وحاسكية وغرزوت وحلانية .

(١) جزيرة سودة

تقع على بعد ١٤ ميلا من جزيرة حاسكية ، ويبلغ ارتفاع أعلى قمة فيها ١٣١٠ أقدام ، وتنحدر بغير انتظام من وسط الجزيرة .. وهي قاحلة الا مـــن بعض أشجار السدر والعشب والطحلب بالقرب من الذروة .. ولا تزال توجد مساكن خشنة بالقرب من البئر المائل للملوحة .. وثمة نقاط كثيرة تمتد شعابها بين مئة وثلاثمئة ياردة وتبرز من الشاطيء وتكوّن أخوارا مناسبة لرسو السفن

الصغيرة .. ويوجد خليج في الجزء الجنوبي مناسب للرسو محمي من الرياح بين الجنوب والجنوب الغربي .

(٢) جزيرة جبلية

طولها ميلان وعرضها ميل واحد وتقع على بعد ١٣ ميلا من جزيرةحلانية ، وهي خالية من السكان الا أن وجود بعض القبور فيها يدل على أنها كانت مأهولة بالسكان .. وهي الجزيرة الشرقية في مجموعة كوريا موريا .. وترتفع فيالجزيرة عدة قمم جيرية تظهر من جميع الاتجاهات ، ويبلغ أعلى ارتفاع ٥٥٠ قدما .. ولها خليج رملي يضرس جانبها الشمالي .. وهي خالية من الماء العذب .. وتوجد صخرة ذات أربع قمم يبلغ ارتفاعها مئة قدم على بعد ١٢٠٠ ياردة الى الشمال من الجزيرة ، تفصلها عنها قناة صخرية .. ويوجد المرسى في الجزء الشمالي والجزء الجنوبي .

(٣) جزيرة حاسكية

الجزيرة الغربية في المجموعة .. وهي صخرية جرداء تظهر بيضاء بسبب كثرة وجود سماد الطير عليها .. وتوجد في طرفها الجنوبي قمتان مخروطيتان يبلغ ارتفاع أعلى نقطة فيها ٥٠٠ قدم .. وفي الجزء الشرقي يوجد خليجان صغيران .

(٤) جزيرة غرزوت

وتسمى أيضا « ردندو » ، وهي جزيرة صغيرة تقع على بعد ستة أميال الى الشمال الشرقي من رأس جزيرة حلانية ، ولها قمتان يبلغ ارتفاع أعلاهما ٢٣٠ قدما ، وتتكون قاعدة الجزيرة من أربع صخور غرانيتية متقاربة ، وتوجد صخرتان ممتدتان تحت سطح الماء وتبعدان حوالي ٣٠٠ ياردة الى الغرب والشمال الغربي و ١٥٠ ياردة الى الشمال الغربي من جزيرة غرزوت .. وتوجد صخرتان فوق سطح الماء قريبتان من أقصى الطرف الشرقي للجزيرة .

(٥) جزيرة حلانية

كبرى الجزر الخمس ، طولها ثمانية أميال وعرضها نصف ميل ومحيطها ٢٣ ميلا ، تمتد من أربعة أميال ونصف الى ثلاثة عشر ميلا الى الشرق من جزيرة سودة .. مظهرها خشن عموما وهي قاحلة الا في بعض المواضع التي تنمو فيها أشجار السدر والصبر والعشب في الجزء الشرقي .. ويحتوي القسم الأوسط من الجزيرة على قمم غرانيتية متقاربة .. ويبلغ أعلى ارتفاع فيها ١٥٠٣ أقدام .. وينتهي الطرفان الشرقي والغربي من الجزيرة في نقطتين واطئتين نسبيا .. أما راس حلانية ، الذروة وأقصى شمال الجزيرة فيتكون من انتفاخ عال ناتىء صلب من الصخور الجيرية يبلغ ارتفاعه حوالي ١٦٤٥ قدما .. والشاطىء خشن يتكون كله تقريباً من جرف يمتد ميلا على كلى جانبي الانتفاخ .. ويعيش السكان القليلون في الشمال الغربي من الجزيرة .

وتقع غبّة الرحيب في الجانب الشمالي الشرقي من الجزيرة ، وهي خليج صالح لرسو السفن محمي من الرياح التي تهب من الغرب الشرقي .. وحين تشتد الرياح الموسمية الجنوبية الغربية تهب الزوابع والعواصف بعنف نحو الاخدود الواقع بين الجبلين .. ويتدفق ماء البحر بقوة نحو الخليج .

وترسو السفن عادة في مواجهة ساحل صغير في الجزء الشمالي يبعد ميلين عن اللسان الرملي الواطىء في النقطة الشمالية الغربية المسماة « راس الشط ».. ويمكن التعرف على الشاطىء الرملي الضيق المحمي ببروز صخري من قمة مخروطية الشكل يبلغ ارتفاعها ١٣٠ قدما في الجانب الغربي .. ويبلغ عرض الساحل حوالي ١٠٠ ياردة .. وتشكل الجوانب الصخرية الساحلية ممرا مواجها للداخل جنوبا وغربا في الجانب الجنوبي توجد أطلال جدار خشن مبني بالحجارة وأطلال بوابة .. ويمتد هذا الجدار من بروز صخري حتى وجه الصخرة الجنوبية للممر المواجه للداخل . وبالقرب من الجدار الى الجنوب من البروز الصخري توجد البئر الرئيسية التي يبلغ قطر دائرتها أربعة أقدام وقد وضعت على جوانبها

الحجارة ، ويبلغ عمقها حوالي عشرة أقدام ، وماؤها مائل للملوحة . ومن هنا يرتد الوادي الصغير غربا ، وتوجد في الجانب الشمالي مقبرة على بعد مئة ياردة من البئر ، كل قبر فيها محاط بحجارة صغيرة عند طرفي القبر حجرة أكبر حجما. وعلى بعد مئة ياردة أخرى توجد أطلال لخرائب جدران من الحجارة وبقايا قبور أكبر في الجانب الجنوبي من الممر المؤدي الى « تهلان » القرية الرئيسية التي يمكن الوصول اليها بالهبوط في ممر عند رأس الوادي . وتتكون القرية من حوالي اثنين وعشرين مسكنا مبنيا بالحجارة ومسجد وعدد من البنايات التي تستعمل مخازن .. وهنا يوجد بناء غريب سقفه من صدف السلاحف . وتوجـــد قبور قديمة على بعد أربعين ياردة من المسجد .

وعلى مقربة من هنا يوجد خور صغير يسمى « مشثوت » يستعمل كمرسى .. وهو ثاني مرسى في الجزيرة ، وهنا نجد بقايا قرية مندثرة تسمى « عين سراب يدان » تجمعت مساكنها في واد صغير متصل بالمرسى .. وكانت لهذه القريـــة مقبرة واسعة كانوا يسمونها « تركا » تقع الى الجنوب من المرسى والقرية .. وقد لوحظ أن العادة كانت قد جرت على وضع حجرة واحدة عموية في وسط قبور النساء ، أما قبور الرجال فتوضع حجرة على طرفي كل واحد منها .. وبعد مسيرة عبر مهبط الطائرات توجد قرية صغيرة تسمى « كريفة» أو «خريفة» تتناثر حواليها العظام وعدة دوائر من الحجارة .. وعلى بعد يسير منها توجد مقبرة تسمى « خر » بها حوالي خمسين قبرا ، كما توجد بقايا قرية « ريبدات » الواقعة على صخور مرتفعة على بعد نصف ميل من الساحل .. وقد جرت عادة السكان على الانتقال من قرية في جانب من الجزيرة الى قرية أخرى في جانب آخر طبقاً لظروف الطقس والرياح الموسمية .

وحلانية هي الوحيدة المأهولة من بين الجزر الخمس . ويبلغ عدد سكانها حوالي مئة وخمسين نسمة يعملون في تربية الاغنام القليلة وفي جمع سماد الطيور الذي يباع على بلدان الخليج العربي وحضرموت .

كوريا موريا في التاريخ

من بين الأسماء التي تطلق على هذه الجزر « خريان مريان » و « خرطان مرطان » و « خور مرجان » و « جزر غلفان » .. أما الاسم فيحتمل أن يكون « خريان مرجان » لأنها غنية بسماد الطيور .. وقد تحول الجيم الى ياء نظرا الى أن أهل حضرموت ومن بينهم المهري ينطقون الجيم ياء .. وقد يكون سبب التسمية عائد الى أن صخور الجير الابيض الموجودة في تركيب الجزر أقرب الى المرجان ، وربما ان الغزاة البرتغاليين حولوا الاسم الى « كوريا موريا » .

ويذكر المؤرخ « بلايني » أن الجزر سبع وانها كانت جزءاً من بـــلاد حضرموت .. وذكر سكان الجزيرة باسم «اسيتاي» وهو تحريف للكلمة «حاسك» وذكرهـــم ستيفانوس البيزنطي في القرن الرابع الميلادي باسم « ابـــاسيني » و « ابيسينالس » وهما تحريف للكلمة « حبشت » .. ومن البحث الخاص بجزيرة سقطرة سيدرك القارىء ان قبائل المهري كانوا يسمون «حبشت» .. ومما يذكر أن عددا كبيرا منهم هاجر الى بلاد « بنت » – الصومال – والى بلاد «كوش» التي عرفت فيما بعد باسم « الحبشة » ..

في القرن الاول الميلادي ذكر الملاح اليوناني المجهول في كتابه « الطواف حول البحر الاحمر » أن خلف ميناء موزع على بعد ١٥٠٠ ستاديا (١٥٠ ميل) حتى حاسك تمتد سلسلة من الجبال على طول الساحل عند نهايتها تقع في صف واحد مجموعة من سبع جزر تسمى «زنوبيا» تقع خلفها منطقة مهلكة لم تعد تابعة لنفس المملكة لكنها الآن من ممتلكات فارس .. وبعد سفر على طول الساحل في البحر على بعد ٢٠٠٠ ستاديا (٢٠٠ ميل) من جزر زنوبيا تقابلك جزيرة اسمها « سرابيس » عرضها حوالي ١٢٠ ستاديا (١٢ ميلا) وطولهـــا ٦٠٠ ستاديا (٦٠ ميلا) يسكنها آكلوا السمك ، وهم مجموعة من المكارين الذين يتكلمون اللغة العربية ويتمنطقون بأحزمة من سعف النخل .. وتنتج الجزيرة كميات من صدف السلاحف الجيد النوع وتذهب الى سرابيس سفن شراعية وسفن نقل من « قانأ » (ميناء بير علي) .

وجزر زنوبيا التي ذكرها الملاح اليوناني هي نفسها جزر كوريا موريا .. وقد ذكر أنها سبع وربما أنه رأى صخرتين بارزتين في شرقي جبلية فظنهما جزيرتين .. أما سرابيس فهي جزيرة « مصيرة » .. وفي أثناء زيارته كانت جميع هذه الجزر من ممتلكات حضرموت ..

أما التسمية « زنوبيا » فأصلها « جنابة » أو « جَنَبَة » وهي اسم قبائل « بني جنابة » الذين يعيشون في الساحل المقابل للجزر . . وقد جاء في مخطوطات المصريين القدماء اسم « زناباتي » أو « جناباتي » وانهم أحد فروع أهل « بنت » ..

ويصف الرحالة ثيودور بنت قبيلة « جنيفا » سكان كوريا موريا وهم يصطادون سمك اللخم – القرش – على جلود منفوخة .. أما ولستد فقد وجد بني جنابة منتشرين على طول ساحل جنوب الجزيرة العربية وعمان ؛ وهم صيادوا سمك يسبحون على جلود منفوخة ، ووجدهم مزارعين ورعاة يعيشون في خيام من الجلد ؛ الا أنهم أثناء الرياح الموسمية الشرقية ينسحبون الى الكهوف.

وذكر الرحالة ماركو بولو قصة من أطرف ما كتب الكاتبون عن جزيرة كوريا موريا .. فقد قال « توجد جزيرتان احداهما تسمى جزيرة الرجال والأخرى جزيرة النساء .. وفي الأولى يعيش الرجال وحدهم بدون زوجاتهم أو أية امرأة أخرى .. وفي كل سنة حين يحل شهر مارس يذهب الرجال الى الجزيرة الثانية حيث يمكثون ثلاثة أشهر – مارس وابريل ومايو – مع زوجاتهم. وبعد انتهاء هذه الفترة يرحلون الى جزيرتهم للعمل فترة التسعة الاشهر الأخرى.. أما بالنسبة للأطفال الذين تلدهم أمهاتهم في الجزيرة فاذا كن بنات بقين مع أمهاتهن أما اذا كانوا أولادا بقوا تحت رعاية أمهاتهم حتى يبلغون الرابعة عشر من العمر ثم يغادرون الجزيرة ويلتحقون بآبائهم للعمل كحاصدين .. كانت العادة قد جرت على أن تبقى النساء في جزيرتهن لا يعملن شيئاً سوى تربية أطفالهن وجمع الخضروات القليلة التي تنمو في الجزيرة ويرسل لهن الرجال جميع محتاجاتهن البسيطة » .

هذا الوصف لجزيرتي النساء والرجال يعكس اعتقادا ذكره بلايني بأن قيمة البخور الدينية تعتمد على طهارة الرجال الذين يجمعونه من أشجار اللبان ، وكانوا يُعتبرون مقدسين ، ولم يكن يستطع أحد ، سواءً كان السيد المالك حسب النظام الطبقي في بلاد البخور أو المزارع أو الحاصد سواء كان عبداً أو حراً ، أن يلمس الشجرة اذا كانت طهارته قد نقضت بواسطة وجود امرأة أو ميت .. وكانت روح الشجرة امرأة حُماتها المدافعون عنها الثعابين المتقمصة أرواح الموتى .. واذا جمع اللبان بدون نجاسة فانه يشكل وسيلة ذات أثر عظيم في الطقوس الدينية .. كما وأن لمادة اللبان طرق استعمال معينة بعد الاتصال الزوجي كان يُنتفع بها في القصور الملكية العربية والبابلية كما ذكر هيرودوتس واسترابو.

هكذا كانت للبان قداسته .. وقد جاء في المجلة الجغرافية الصادرة في سنة ١٨٧٢ م أن الجنرال مايلز لاحظ أن جماعات من الصومال كانت تصل الى سواحل جنوب الجزيرة العربية طالبة شرف الحصول على اذن بجمع اللبان ..

من هذا السرد تتضح لنا معالم القصة الطريفة التي أوردها ماركو بولو .. فقبيلة بني جنابة المتنقلة بين جزر كوريا موريا والساحل الشمالي الشرقي والتي يعمل رجالها في صيد السمك وكرعاة في بعض المواسم المعينة ، وأيضا في حصد اللبان في مواسم أخرى يخضعون لقوانين صارمة يحافظ عليها السادة ملاك الاشجار .. فعندما تظهر أولى بشائر سائل اللبان في فصل الربيع يتركون زوجاتهم للعمل في جمع أفخر أنواع اللبان الابيض ثم يبقون في مناطق الاشجار ليستمروا في جمع ما يصدر عن الاشجار بعد ذلك حتى ينتهي الموسم ويعودون الى عائلاتهم ..

وهنا لا بد وأن نذكر أن من غير المعقول أن توجد جزيرتان واحدة للنساء وأخرى للرجال كما قال ماركو بولو ، بل ان الأصح هو أن جزيرة النساء هي احدى جزر كوريا موريا حيث تبقى النساء وحدهن بعد رحيل رجالهن ، وان الجزيرة الأخرى التي يسكنها الرجال لم تكن غير الساحل الحضرمي الذي كان الحاصدون يذهبون اليه من جزيرتهم لحصد اللبان ..

ومما يذكر بهذه المناسبة أن كلا من قائد الحملة البريطانية على عدن الكابتن هينس والملازم ولستد الضابط في البحرية الهندية البريطانية والكاتب الرحال تيودور بنت ذكروا أن سكان الجزر والساحل المقابل لها يسمون « بني زينبْ» وانهم يصطادون سمك اللخم – القرش – وهم يسبحون على قرب جلدية منفوخة ، كما كان أجدادهم يفعلون في أيام المؤرخ بلايني .. وهكذا نرى أن سكان كوريا موريا لا يزالون يتبعون نفس الطريقة التقليدية في صيد السمك في القرن التاسع عشر وفي القرن العشرين كما كان آباؤهم الاولون يفعلون في القرن الاول قبل الميلاد ..

والمعروف ان منطقة الشحر في حضرموت كانت مهرية ، في العصور الماضية ، كما ذكر المؤرخ الهمداني .. وقد ذكر الادريسي المؤرخ المتوفي سنة ١١٦٤ م ان سكان هذه الجزر كانوا تحت حكم بلاد الشحر وانهم كانوايعيشون حياة قاسية في فصل الشتاء لكنهم في موسم الرياح يصدرون السلاحف والعنبر الى عُمان وعدن .

ويقول البروفيسور آر . ب . سارجنت ، ان سكان حلانية يذكرون انهم ينتمون الى قبيلة شحرة الجبلية في رأس حاسك وان الاهالي يتكلمون لهجة قبيلة شحرة في منطقة ظفار الذين لهم صلات وثيقة مع أهل الشحر الميناء الواقعة الى الغرب ، وان الاهالي يقومون باختيار الشيخ ويسيرون في حياتهم على نفس النظم التقليدية التي سار عليها أسلافهم .

وحينما قام الرحالة العربي ابن بطوطة برحلاته المشهورة في القرن الثالث عشر الميلادي زار منطقة بحر العرب وقال بأن أهل الجزر يستعملون تقويما يتعلق بالكواكب ويقسمون السنة الى اثني عشر شهر في كل شهر ثلاثون يوما . وأضاف أنه زار رأس حاسك وقابل بعض الاهالي العرب صيادي السمك الذين يمتلكون أشجار البخور ، وان الوسيلة الوحيدة لمعيشتهم هي صيد السمك وأما طعامهم الرئيسي فهو السمك المجفف في الشمس . وقال انهم يسكنون في عش

مشيدة من عظام السمك لها سقوف من جلود الجمال . وأضاف ابن بطوطة قائلا أنه سار في البحر أربعة أيام ثم وصل الى « لومان » التي يتضح من وصفه لها أنها جزيرة سودة حيث رأى بناية مشيدة بالحجارة يعيش فيها الزهاد «الرهبان» ولها سقف من عظام السمك .. وفي خارج البناية صهريج يتلقى الماء عند هطول المطر وانه أثناء زيارته كان يعيش في البناية أحد أولئك الزهاد .

وفي تسجيلات المؤرخ الحضرمي محمد بن عمر بافقيه الشهير بالشحري قال « في رجب سنة ٩٠٨ هـ (١٥٠٣ م) ظهرت مراكب الافرنج (البرتغاليين) في طريقها الى الهند وهرمز وتلك النواحي واستولت على سبعة مراكب وقتلت ركابها وأسرت بعضهم . وربما ان هذه الواقعة تشير الى الحملة التي قام بها في ابريل القائد البرتغالي سودرا الذي غرقت سفينته في العواصف بالقرب من كوريا موريا وغرق جميع ركابها كما ذكر البروفيسور سارجنت .

وذكر بافقيه أيضا : « في الايام الأولى من شهر ربيع الثاني ٩٤٢ هـ(١٥٣٥م خرج مركب افرنجي كان قد تاه في خريان مريان ونهب جماعة في طريقه ثم وصل الى الشحر حيث سمع عن المهري وكيف قتلوا الافرنج ثم استهرى من الشحر مع عدد من الافرنج ليقطعوا طريق البحر الى المشقاص من السواحل (بلاد شرق افريقيا) وغيرها .. وبعد يومين أو ثلاثة أيام جاءت الأخبار بوصولهم الى قشن ووجدوا هنالك عسكرا حشدهم السيد عبدالله بن شيخ العيدروس بالنيابة عن الشيخ عامر بن داود بن طاهر سلطان عدن ، وتحصلت الفرقة الى المراكب ووقعت المحاذفة بين الفريقين ثم رمى الافرنج بالبنادق والمدافع عليهم .. وعندما اقتربوا منها رمى عليهم الافرنج « بُرمَ باروت » فاحترق بعضهم وغرق كثيرون أغلبهم من البدو المهري ..»

وسيلاحظ أن الاسم الأخير للجزر هو « غلفان » وهو نسبة الى بني غلفان المهرية التي استولت على الجزر وحكمتها بقيادة الشيخ سعيد بن عمر بن غلفان الذي كان قد حاول احتلال مرباط الى الشرق من ظفار .. وبعد فشله احتل

الجزر ، وكان أبناؤه وأحفاده يجبون الضرائب من سكان الجزر .. والجدير بالذكر هنا أن الضابط البريطاني الكولونيل مايلز ذكر في كتابه « بلدان وقبائل الخليج الفارسي » المطبوع في سنة ١٩١٩ أنه عندما زار حلانية في سنة ١٨٨٣ كان فيها أربعون شخصا من بينهم امرأتان من بني غلفان تعتبران ملكتين على الجزر..

وذكر ج . لوريمر في كتابه « تقويم الخليج الفارسي وعمان وأواسط بلاد العرب » الصادر في الهند في سنة ١٩٠٨ ، : « كانت جزر كوريا موريا في بداية القرن التاسع عشر من ممتلكات الاسرة المهرية بني غلفان ، وكانت كبرى جزيرتين في المجموعة مأهولتين .. وأغار القراصنة من عمان عليهما بقسوة في ١٨١٨ وتركوهما خاويتين مقفرتين من السكان .. وفي سنة ١٨٥٤ قام سلطان عمان الذي كان قد ادعى ملكية الجزر له بتقديمها هدية لبريطانيا العظمى فبقيت من ممتلكاتها .. وفي الفترة بين ١٩٥٧ و ١٨٥٩ كانت الجزر مسرحا لنشاط كبير لنقل سماد الطير « الجوانو » لأن حلانية وجبلية غنيتان به ولكن الجوانو استهلك منذ ذلك الحين ، وكانت جبلية أكثر انتاجا.. وفي موسم ١٨٥٧ و ١٨٥٨ استعملت ٥٢ سفينة في عملية نقل السماد في الأجزاء السفلية من الجزر .. ووجد السماد مختلطا بحصى صغير الحجم ، وكان السماد يتكون من سبعين في المئة من الفوسفات و ٢٩ في المئة من السليكا والرطوبة وواحد في المئة من النشادر (امونيا) .

وقال لوريمر أيضا : « تقع مجموعة جزر كوريا موريا على بعد ٢٥ ميلا من الشاطىء الجنوبي الشرقي لعمان بين رأس شربتات ورأس نوس ، وتقع قليلا الى غرب ظفار ويسميها العرب جزائر بني غلفان نسبة الى الاسرة المهرية بعد أن استولت عليها . وفي ١٨٣٥ كان بنو غلفان لا زالوا يدعون ان الجزر جزرهم .. »

ووصف لوريمر جزيرة حلانية قائلا « الماء متوفر فيها لكنه كدر قليلا . وتوجد فيها أشجار السدر .. وفي شرقها بعض العشب .. أما الحيوانات فيوجد

منها الماعز الوحشي والثعبان السوط والعقرب وام أربعة وأربعين . وكان عدد سكان حلانية في ١٨٣٥ ثلاثة وعشرين نسمة .. وفي سنة ١٨٨٣ ستة وثلاثين نسمة بما فيهم الاطفال . والسكان مسلمون لكن أصلهم غير مؤكد .. وهم يحتفظون بالغنم ويصطادون السمك لكنهم لا يمتلكون زوارق ولا يذهبون الى البر في الساحل المقابل للجزر .. وتتكون منازلهم من جدران من حجارة غير ثابتة سقوفها من عظام السمك المعروف بالقرش (اللخم) وحشائش البحر .. وحين قام البعض بزيارتها في ١٩٠١ كانت مهجورة .. »

وقال لوريمو عن لغة الاهالي « يتكلم السكان لهجة مرتبطة باللهجة السائدة في جوار مرباط وتشبه اللغة المهرية » .

وذكر الكابتن هينس في تقرير له أن قراصنة البحر المعروفين باسمالقواسمي أو الجوشمي غزوا حلانية ونهبوها في سنة ١٨١٦ وان ذلك هو السبب المحتمل في وجود العديد من القبور ، وان عددا من السكان قد أخذهم القرصان أسرى.. وفي سنة ١٨١٨ استولى قراصنة البحر من رأس الخيمة في الخليج على حلانية ثم هجروها بعد فترة وجيزة ..»

وفي سنة ١٨٣٤ قامت بريطانيا بغزوها العسكري على جزيرة سقطرة وأجبرت سلطانها عمرو بن سعد على التوقيع على معاهدة تسمح بموجبهالبريطانيا باستعمال الجزيرة وانزال الفحم أو أية مواد أخرى في أي جزء منها .. وفي السنة التالية استولى سلطان مسقط وعمان سعيد بن سلطان على كوريا موريا ر بما مغتنما فرصة المتاعب التي صادفت المهري بعد الاحتلال البريطاني لسقطرة .

ووصل الى كوريا موريا أسطول فرنسي لجمع سماد الطيور منها.. ويظهر ان بريطانيا خشيت من استمرار قدوم الفرنسيين الى الجزر والطموح الى احتلالها ثم التوسع في تلك النواحي لحماية مستعمراتها في الهند والشرق الأقصى فأوعزت الى سلطان مسقط وعمان أن يمنحها الجزر هدية حتى تقطع الطريق علىالفرنسيين وأيضاً على مطالبة المهري لها .. وفي ١٤ يوليو ١٨٥٤ عقدت بريطانيا مع السلطان

اتفاقية هدية سلم بموجبها الجزر الى بريطانيا فوضعتها تحت ادارة حكومة عدن ، لكن نظرا لبعدها عن عدن طلبت حكومة عدن من المقيم البريطاني في الخليج العربي أن يشرف عليها بالنيابة عنها ..

وهذه هي اتفاقية الهدية :

« حجة تنازل عن جزائر كوريا موريا أصدرها صاحب السمو امام مسقط بحضور الكابتن فريمنتل قائد سفينة صاحبة الجلالة (جونو) بتاريخ ١٤ يونيو سنة ١٨٥٤ »

« من المتواضع لله سعيد بن سلطان الى كل من يقع بصره على هذا المكتوب مسلما كان أو غير مسلم ، حضر لديّ من الامة العزيزة (انكلترا) الكابتن (فريمنتل) التابع للبحرية الملكية لصاحبة الجلالة يطلب مني (جزائري — بن كولفيم) جزائر كوريا موريا ، أي رولانيسا ، جبلية ، سودا ، حاسكي ، جورزوند . »

« وانني بمقتضى هذا اتنازل عن الجزائر المذكورة الى الملكة فكتوريا لتكون ملكا لها ولورثتها ولخلفائها من بعدها » .

« واثباتا لهذا قد أثبتّ هنا توقيعي وخاتمي عن نفسي وعن ابني من بعدي ، وذلك بمحض ارادتي ورضاي ، ومن غير قهر أو ارهاب ، أو منفعة مالية ايا كانت ، وليكن هذا معلوما لكل من يطلع على هذا » .

« حرر في مسقط في اليوم السابع عشر من شهر شوال سنة ١٢٧٠ هجرية الموافق ١٤ يوليو سنة ١٨٥٤ » .

« من وضع يدي   سعيد بن سلطان — امام مسقط »

« تم بحضوري   ستيفن ج . فريمنتل »

« قبطان سفينة صاحب الجلالة (جونو) »

ويلاحظ أن السلطان ذكر الجزر باسم « بن كولفيم » الذي هو تحريف لاسم « بن غلفان » وذكر جزيرة حلانية باسم رولانيسا وجزيرة غرزوت باسم جورزوند .

ويظهر أن استيلاء بريطانيا على الجزر كان للاغراض التالية :

(١) استغلالها كنقطة حربية عند الضرورة وادخارها كموقع استراتيجي يسيطر على الخليج العربي شرقا وعلى بحر العرب وخليج عدن غربا .. وقد ذكرت صحيفة الاخبار الصادرة في عدن أن فريقاً من دار الانتداب البريطاني في عدن قام في ٢ اكتوبر ١٩٦٦ بزيارة لجزيرة حلانية ، وكان قد علم قبل سنوات عندما استقلت كينيا ، أن هيئة الاذاعة البريطانية التي كانت تعمل من كينيا ، ستحول محطتها من هناك الى محطة يعمل قسم منها من جزيرة ميون (بريم) لتوجيه الاذاعة الى منطقة الشرق الاوسط ، ويعمل القسم الآخر من جزيرة حلانية لتوجيه الاذاعة الى منطقة الخليج العربي .

(٢) ابعاد النفوذ الفرنسي الذي كان يهدد الوجود البريطاني في المنطقة في ذلك الحين .

(٣) استيلاء بريطانيا وحدها على مئات الآلاف من الاطنان من سماد الطير (جوانو)

(٤) ربط البحر الاحمر بالهند بواسطة خط لاسلكي عن طريق كوريا موريا .. وقد قامت فعلا بمد هذا الخط الى كراتشي مارا بجزيرة حلانية .. وبعد ذلك بفترة أقامت شركة التلغراف الشرقية محطة اشارة في جزيرة حلانية .

قضية كوريا موريا في وزارة خارجية اليمن الجنوبية

قبيل استقلال اليمن الجنوبية أعلنت بريطانيا أنها سلمت الجزر المذكورة الى

سلطنة مسقط وعمان بعد استفتاء أجرته في الجزر .. وبعد مفاوضات الاستقلال بين بريطانيا ووفد الجبهة القومية في مؤتمر جنيف في نوفمبر ١٩٦٧ أعلن المتفاوضون البريطانيون أن قضية الجزر ليست ذات موضوع لأن بريطانيا لم تعد مسئولة عنها بعد أن تخلت عنها لسلطنة مسقط وعمان ..

وفي خطبة الاستقلال التي القيت من قبل أول حكومة تتسلم الاستقلال في اليمن الجنوبية ، أعلن بأن الحكومة تعتبر كل الجزر بما فيها كوريا موريا جزءاً من أراضي الجمهورية .

وتضم ملفات وزارة خارجية اليمن الجنوبية وثائق حول موضوع هذه الجزر . وقد نشر الاستاذ علي رضا في كتابه « ثورة الجنوب » المقابلة التي أجراها مع وزير خارجية اليمن الجنوبية ، الذي كان في ذلك الحين سيف ضالعي ، نوردها هنا لأهميتها التاريخية :

« قلت للوزير – هل يمكن توضيح مشكلة جزر كوريا موريا ..

وقام الوزير الى مكتبه ليحضر مجموعة من الوثائق والمذكرات والخرائط المتصلة بهذه المشكلة ، ثم بدأ حديثه قائلا : « لقد أكدنا حقنا في هذه الجزر واحتفظنا بحق ممارسة سيادتنا عليها بالصور التي تناسبنا ، وسنعمل على تثبيت حقنا وعدم التفريط فيه « .. واستطرد قائلا : « ونحن لا نريد اثارة هذه المشكلة في هذه المرحلة على مستوى دولي ، ولكن اذا استمرت بريطانيا في موقفها وحاول سلطان مسقط وعمان الاعتداء على سيادتنا فسوف نلجأ الى أية وسيلة مناسبة للاحتفاظ بسيادتنا وحقنا في هذه الجزر » .

قلت له : « ما هي مساحة جزر كوريا موريا وما عدد سكانها ، وأين تقع بالنسبة للعاصمة » .

قال : « جزر كوريا موريا عددها خمس ، أما مساحتها فتصل الى ٢٥ ميلا مربعا يقطنها حوالي ٨٠ مواطنا .. وهي تبعد عن عدن بحوالي ٧٠٠ ميل وتبعد عن آخر حدودنا الى الشرق بحوالي ٢٠٠ ميل » .

قلت : « هل لجزر كوريا موريا أهمية معينة . »

قال : « لهذه الجزر أهمية استراتيجية ، فالسفن الذاهبة الى الخليج وباكستان تمر على مقربة منها ، هذا من الناحية ، ومن ناحية أخرى فقد يكون لموضوع اكتشاف البترول في مسقط دخل في هذا الشأن . »

قلت : « هل أثيرت هذه المشكلة في محادثات الاستقلال التي جرت بينكم وبين بريطانيا في جنيف . »

قال : « نعم ، وقد أوضحنا أن هذه الجزر جزء من أراضينا ، وانه لا يمكن التفريط فيها ، وقد استندنا في ذلك الى مجموعة من الحجج التي اعتبرها الوفد منطقية غير أنه أشعرنا بأن قرار بريطانيا بالنسبة لهذا الموضوع لا يمكن التراجع عنه » .

قلت : « ماذا كانت الحجج التي قدمتموها . »

قال : « لقد أوضحنا أن هذه الجزر ظلت مرتبطة ببلادنا طوال فترة الاستعمار ، كانت دوما تحت الادارة المباشرة للحاكم البريطاني في عدن ، وذكرنا أن هذه الجزر منذ القرن الماضي حتى سنة ١٩٥٨ كانت مع جزر ميون وكمران جزءاً لا يتجزأ من مستعمرة عدن . وفي عام ١٩٥٨ ، وقبل قيام الاتحاد الفيدرالي ، عملت بريطانيا على تجزئة هذه الوحدة السياسية ، فبدلا من أن تصدر دستوراً واحداً لكل هذه المناطق أصدرت دستورا خاصا بعدن وأوامر دستورية لكل من كمران وكوريا موريا ، وعين لعدن حاكم عام كما عين لكل من هذه الجزر حاكم عام هو نفس الشخص . ولقد قامت بريطانيا بفصل هذه الجزر على أساس مخططها الدفاعي الذي يحرص على الاحتفاظ بهذه الجزر لاستعمالها كقواعد نظراً لموقعها الاستراتيجي » .

وقال وهو يتصفح ملفات ضخمة ليستخلص منها ما يؤكد حق بلاده في جزر كوريا موريا : « بموجب المادة ٧٣ من ميثاق الامم المتحدة تلتزم بريطانيا بتقديم تقارير حول المناطق التي تديرها توضح فيها خطوات تطويرها» وأضاف :

١ – وفي عام ١٩٦٥ وفي تقرير الامم المتحدة حول المناطق المحتلة ، أكدت بريطانيا في الصفحة الخامسة من التقرير – وتحت عنوان جزر كوريا وموريا – ان هذه الجزر تعتبر من الناحية القانونية والفنية جزءاً لا يتجزأ من عدن ؛ .

٢ – في عام ١٩٦٦ صوتت بريطانيا لصالح قرار يشمل تعريبا لمنطقتنا يضم جزر كوريا موريا .

٣ – في عام ١٩٦٥ وأيضا في عام ١٩٦٦ اعتبرت قرارات الامم المتحدة جزر كوريا موريا جزءاً من عدن ،

٤ – في العام الماضي شكلت في دار المندوب السامي البريطاني بعثة تضم السكرتير العام لوزارة الامن الداخلي وبعض موظفي ادارة الاسماك للقيام بعمليات مسح في جزر كوريا موريا وتقديم تقرير عنها الى الحكومة . وقد أذاعت عدن وقتئذ نبأ سفر البعثة . وعند عودتها أذاعت انها قدمت تقريرها . وهذا يوضح أن بريطانيا كانت تنوي تسليم الجزر للسلاطين اذا تولوا الحكم في المنطقة .

٥ – في مايو عام ١٩٦٧ قدم مشروع للبرلمان البريطاني يحدد يوم ٩ يناير موعدا لاستقلال الجنوب . وقد جاء في القرار توصيف للمنطقة على أساس أنها تضم جزر كوريا موريا

٦ – في الدستور الذي أعده خبيران بريطانيان هما سير ريف هون وسير جاوين قبل الاستقلال عرفت المادة الثامنة بجمهوريتنا بأنها تتألف من مساحة الارض التي تشملها ولاية عدن ومدينة الاتحاد وجزر ميون وكمران وكوريا موريا .. وقد أقر هذا الدستور عام ١٩٦٧ أي أثناء الاحتلال .

٧ – في جميع الكتب التي صدرت عن حكام المنطقة البريطانيين السابقين والسياسيين البريطانيين ، كانوا يؤكدون أن الجزر جزء لا يتجزأ من المنطقة . »

قلت : « وماذا كانت وجهة نظر بريطانيا بعد توضيح كل هـــذه المعلومات . »

قال : « لقد أوضحنا تمسك بريطانيا بموقفها من هذه الجزر ، وكان مما قالوه أيضا ان جزر كوريا موريا قدّمت كهدية من سلطان مسقط وعمان الى المملكة فكتوريا عام ١٨٥٤ بمناسبة زواجها ، فرددنا على الفور بأن البرتغال سبق أن قدمت بومباي كهدية الى الحكومة البريطانية ، وبعد استقلال الهند لم تعد بومباي الى البرتغال ولكنها سلمت للحكومة الهندية .. وقد الحّ الوفـــد البريطاني على فكرة تدويل هذه الجزر فرفضنا الفكرة على الفور وهددنا بأنهاء المحادثات ، الأمر الذي جعل الوفد البريطاني يقترح احالة الموضوع الى حكومة ما بعد الاستقلال . »

قلت : « ما هي الخطوات التي اتبعت بالنسبة لهذا الموضوع بعد الاستقلال.»

قال : « لقد بعثنا الى الامم المتحدة ببرقية في ٣ ديسمبر الماضي أكدنا فيها حقنا في هذه الجزر وطلبنا توزيع مضمون البرقية على كافة الدول الاعضاء ».. واستطرد قائلا : « نحن الآن بصدد تهيئة الموضوع من الناحية القانونية لاثارته في المحافل الدولية » .

قلت : « ماذا سيكون الموقف اذا حاول سلطان مسقط وعمان ممارسة حق السيادة على جزر كوريا موريا »

قال : « كما قلت لك نحن لا نقر تسليم هذه الجزر لسلطان مسقط وعمان ، وسوف تعتبر أية محاولة لارسال أحد من طرفه عدوانا وسيكون من حقنا في هذه الحالة أن نرد على هذا العدوان بأية طريقة مناسبة » ..

مراجع تاريخ الجزر اليمنية

ابن بطوطة — رحلات

ابن المجاور — تاريخ المستبصر

أبو محمد الحسن بن أحمد يعقوب الهمداني — صفة جزيرة العرب

أبو محمد الحسن بن أحمد يعقوب الهمداني — الاكليل ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ١٩٦٣

ادارة الآثار ، عدن — منشورات

ادارة البحر الانثروبوليجية — البحر الاحمر وخليج عدن ١٩٥٥

بلايني — التاريخ الطبيعي ترجمة ه . ركمان ، ليوب كلاسيكل لايبرري

بنت ، ج . تيودور — رحلات في بلاد البخور ، جنوب الجزيرة العربية ، لندن ١٩٠٠

بوكسهول ، بيتر — قبائل سقطرة

تقرير البعثة النمساوية الملكية العلمية الى جنوب الجزيرة العربية وسقطرة ١٨٩٨

تومس ، برترام – العربية السعيدة ، جوناثان كيب ١٩٣٢

جونس ، هـ . ل – جغرافية سترابو ، ليوب كلاسيكل لايبرري

جيكب ، هـ . ف – ملوك العرب ، ملز اند بون لمتد ، لندن ١٩٢٣

حمزة علي لقمان – تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية وتاريخ اليمن الجنوبية وقبائلها

دائرة المعارف البريطانية – الطبعة الحادية عشر

سارجنت ، ر . ب . البرتغاليون عند شواطىء جنوب الجزيرة العربية ، كلارندن اكسفورد برس ١٩٦٣

شارد ، شستر – السقطري

شكوف ، ولفرد (المترجم) – الطواف حول البحر الاحمر تأليف ملاح يوناني مجهول ، لونجمينز جرين ١٩١٢

صادق علي ، دكتور – تقرير بيطري ، وزارة الزراعة ، عدن ١٩٦٨

عبد الواسع الواسعي – تاريخ اليمن ، مطبعة حجازي القاهرة ١٩٤٧

علي رضا – ثورة الجنوب

علي محمد لقمان – صحيفة الاخبار العدنية .

علي عيدروس السقاف
غازي ناصر محمد 〉 تقرير زراعي ، وزارة الزراعة ، عدن ١٩٦٨

فوربس ، هـ . . و . التاريخ الطبيعي لجزيرتي سقطرة وعبدا الكوري

فوربس ، هـ . و . – تقرير البعثة العلمية البريطانية لسقطرة ١٨٩٨

فوستر ، دونلد – ميون جزيرة المرور في البحر الاحمر ، مجلة ميناء عدن ٦٤ / ١٩٦٣

لوريمر ، ج . ج . الخليج الفارسي وعمان وبلاد العرب الوسطى ، مطابع الحكومة في كلكتا بالهند ١٩٠٨

محمد بن عمر الطيب بافقيه الشحري – تسجيلات حضرمية

مصطفى مراد الدباغ – الجزيرة العربية ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٦٤

موزر ، شارلس – جزيرة البخور ، المجلة الجغرافية الوطنية ، مارس ١٩١٨

هنتر ، ف . م . مستعمرة عدن ، تبنر اند كمبني لندن ١٨٧٧

هنتر ، ف . م . ملاحظات عن سقطرة ، تبنر اند كمبني لندن ١٨٧٧

هينس ، س . ب . مذكرات حول الشاطىء الجنوبي للجزيرة العربية ، المجلة الجغرافية ١٨٣٩ – ١٨٤٥

وزارة الخارجية البريطانية ، قسم التاريخ – كتيب عن بلاد الصومال البريطانية وسقطرة

ولستد ، ج . ر – رحلات في عمان ، رحلة في سقطرة من كتاب رحلات في مدينة الخلفاء ١٨٤٠

ولسن ، ف . ا . هـ – جزيرة كمران ، مجلة ميناء عدن ٦٥ / ١٩٦٤

ووبلجار ، انتوني – الفنارات في الطرف الجنوبي للبحر الاحمر ، مجلة بي بي عدن ١٩٦٧

ياقوت – معجم البلدان